

ناجيني

ناجيني عمرو علي

- رقم الإيداع:
- الترقيم الدولي:
- تصميم الغلاف: وحيد محمد
- تنسيق داخلي وإخراج فني: عبدالعليم منا
- الطبعة الأولى 2021

الناشر: نبوغ للنشر والتوزيع
<http://www.nebogh.com/>

المدير العام: مروة المصري

darnebogh@gmail.com

01100528522



الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة
نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة
نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر والتوزيع

ثنا جيني

رواية

للكاتب

عمر و علي



دار نوبوغ للنشر والتوزيع



المقدمة

عزيزي القارئ:

لقد رأيتك وأنت تدفع بضعاً من الجنيهاً في هذه الوريقات، ورأيتني وأنا أبتسم لك ابتسامة صفراء، أنت لا تعرفني وأنا لا أعرفك، وكما قلت من قبل؛ إن البشر دائماً ما يشترون الجحيم ويتركون الجنة المجانية لأهلها، ولكن هل شممت رائحة تلك الوريقات جيداً؟ هل تخللت ثنايا عقلك؟

أريدك أن تلمس وريقاتها جيداً، ولا تحزن يا صديقي فالدنيا كما تعرف فانية، وأنا قد عزمت على اختصارها عليك، لذلك فأنا أعدك بأن هذه الوريقات ستكون آخر ما تراه عينيك.



إهداء

إلى كل قلب أبيض مُزِين بخطوط حمراء، إلى كل من تنتظر الفرحة لأعوام وأعوام وأبت الفرحة في الدخول لعالمه أهديكم عملي الأول لعلنا نجد الفرحة سويًا بين السطور.

إلى كل من قال لي ذات يوم قف مكانك ولا تكتب، ها هي وريقاتي تحيا بين آلاف الأوراق وتنير في أوسطهم، فلتستمروا في تحطيمي، وسأصنع من ركام حطامي شيئًا جميلًا يحطم آمالكم في فشلي.

إلى العظيم أبي، يوما ما تنبأت لي بأني سأصنع شيئًا ما سيعجب الكثيرين، ها هي كلماتي تسطرت في كتاب اسود المعاني، فليرحمك الله طبت ميتا.

إلى العظيمة أمي، أوجعني فراقك حد الموت شوقًا لرؤياك، لكم أتمنى أن يهديني الزمن ولو لحظة واحدة، أعود فيها إلى أمانك، فكل المآسي حدثت بعد وفاتك.

إلى التي آمنت بي عندما لفظني الجميع، وأصرت على دعمي بكل وسيلة، إليك أهدي كلماتي (نهلة وديع)

إلى إحداهن، لطالما حلمت بأن أهديك شيئًا ثمينًا، لا مجرد كلمات على برديات فرعونية، أو وريقات برواية يقرأها آلاف أو زهور تتساقط أوراقها في خريف عمرها، إلى من علمتني كيف أحييها بعدما كفرت بكل شيء لتعيد لقلبي اتزانه.



إلى كل من ساعدني شكرا لكم ها هي ثمرة مساعدتكم لي؛ (ابراهيم، مصطفى،
أمنية، هبة، هيام، هدير، ماجدة البغدادى، السيد الشايب، ديانا حسام الدين،
إسراء صقر)



شكر وعرّفان

في كثير من الأحيان نفقد الإيمان بأنفسنا، ونكاد نلقي بأحلامنا إلى أقرب هاوية ليمحوها النسيان، نظن أننا سنسقط للأبد فيتلقفنا الله بعنايته، ويرسل لنا رسله الذين يصممون على إسنادنا لنشرق من جديد، أنا واثق أن لقاءنا لم يكن صدفة، وأنتك نعمة من الله بها علي، إلى التي دعمتني وألهمتني لكي أقدم العمل بهذا الشكل الدكتور جهاد جودة، لك مني كل الشكر والعرّفان.

إلى معلمتي دكتور بسمة ناجي، التي تظل خلف الحرف حتى يستقيم، إلى التي لا تتخلى عن قلم حتى يلمع في سماء الأدب، أشكرك من كل قلبي.

إلى صديقتي مروة المصري أشكرك كثيراً فلولاك ما كان لهذا العمل أن يرى النور.



((الطاغوت 1))

العقدمة:

قبل الحرب العالمية الثانية، حالة من الهرج والمرج تعتري الأجواء، وخمسة عشرة رجلاً يودعون عائلاتهم إلا رجلاً واحداً يقف وحيداً حزينا، يبدو أنه من أصول أوروبية، ينظر للفراغ في بلاهة وعدم اكتراث كأنه يفكر في المجهول.

- صوت جهوري يأتي من بعيد لرجل يرتدي زياً عسكرياً: لقد انتهت الزيارة.

الكل ينظر باتجاه الرجل في حالة هلع واضحة، الدموع تنهمر من عيونهم وقت الوداع، وكأنهم موقنين أنهم لن يروهم ثانيةً.

- ابتسم الرجل الغير مكترث، ثم اقترب من صاحب الصوت وهمس في أذنه باللغة العربية: مهلاً عليهم، إنها آخر مرة قد يرون فيها رفقاءهم من ذويهم.

- الرجل بوجه متجمد: لا علاقة لي بهذا، أنا أنفذ التعليمات فحسب، بقي على موعد التجربة خمسة عشر دقيقة، ويجب تحضيركم للقيام بها، ثم إنك تعرف أن التجربة في صالحكم أكثر منا، فنحن نحافظ عليكم من القتل.

- ضحك الرجل بسخرية حتى نزلت دموعه، ومن بين ضحكاته همس متسائلاً: تحموننا من قتل هتلر بأن تجمدونا لأربعون عاماً؟ إذا كنتم لا

تستطيعون حمايتنا فلما نفتخر بأننا مصريون؟ ولدت وأنا فخور بأنني مصري عربي، والآن أهرب من الموت بموت آخر، إنها حقاً لبلد الأمان!

- انكمش وجه الجندي ثم تكلم أخيراً: أنت تعلم بأن حرب هتلر ليست على مصر فحسب؛ وإنما على اليهود بصفة خاصة وما يسمون بتحت البشر، إن أتباعه وجواسيسه في العالم أجمع ونحن لا نريد خسارتكم، بعض اليهود في العالم وأيضا يهود مصر قد سافروا إلى القدس، واتخذوا منها مستقراً لهم يريدون إقامة دولة خاصة بهم، وأنتم لا تريدون ذلك، ونحن بالفعل لا نريد خسارتكم، فأنت والأربعة عشرة عالم من صفوة علماء المجتمع، أنتم كنز يجب الحفاظ عليه وإخفاءه حتى لا يتم تدميره.

صوت آلي ينادي: لقد حان الآن موعد التجربة الأولى للتجميد، رحلة ستستغرق أربعين عاماً، نتمنى لكم حياة جديدة في ظروف أفضل.

الجميع ينظر باتجاه الصوت بفرح، الغرفة تدور في أعينهم والوقت يمر سريعاً، الرجل يشعر بدوار في رأسه، وكأن أحداً قد لكمه بكل قوته على رأسه ليسقط أرضاً بلا حراك...



(الفصل الأول)

فتح عينيه ليجد طبيبة شابة تشبه حبيبته تبسم له قائلة: أهلا بك من جديد دكتور ميشيل.

نظر إليها ميشيل ولم يتفوه ببنت شفة، فالشبهه متطابق بنسبة تسعون بالمئة، هل يعقل ألا تكون حبيبته؟

- قطعت جبل تفكيره بكلماتها: بماذا تشعر الآن؟ ثم لوحت بيديها أمام عينيه سائلة إياه هل تراني؟

- تنحج ميشيل ناظرا إلى جسده الملقى على سرير أبيض، ويده اليمنى معلقة بالمحاليل، نظر حوله مطالعا أركان الغرفة البيضاء المنظمة كإحدى غرف الفنادق السياحية، ثم تكلم أخيرا قائلا: أين أنا؟ ماذا حدث؟ أريد ماء يا راشيل.

- نظرت له الطبيبة بعطف ثم قالت: حسنا.. سأخبرك كل شيء بعدما أعطيك الماء، ولكنني أدعى الطبيبة دعاء، ولست براشيل كما ناديتني.

- شعر بغرابة شديدة فلا زال يراها حبيبته: لست راشيل! كيف؟ وأكمل قائلا: أتظنين أنني لن أعرفك حين تبدلين لون عينيك وتصفيقه شعرك؟ بالأمس كان شعرك بنيا أشعثا وعينيك عسليتين، والآن عينيك بنيتان وشعرك يغطيه اللون الأسود.

دعك من هذا المزاح فأنا أشعر بدوار في الرأس وكأني قد نمت ألف عام وحلمت أحلاما غريبة ومخيفة أيضا.

- الطيبة: حسنا خذ قرص الأسبرين هذا وكوب الماء، وبعد قليل ستحدث وتخبرني بها حلمت، ولكن بعدما تعد معي من رقم واحد حتى رقم عشرة.

أخذ ميشيل منها الماء واستسلم إلى العد معها واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة خمس... حتى غط في سبات عميق.

خرجت دعاء من غرفة المريض غريب الأطوار وهي قلقة، فالمريض بالتأكيد سيصاب بصدمة حين يعلم بأنه في زمن آخر وعالم غير عالمه، لقد تمت كثيرا لو وجدوا آلة للزمن تستطيع بها الرجوع للخلف لترى ذكرياتها المنسية، تتمنى لو استطاعت الرجوع أكثر من ذلك أيضا، فهي ترى أن أفكارها تشبه أفكار بطلات أفلام الأبيض والأسود، كم تمت لو رأت هذا العالم ولو لدقائق معدودات، نفضت هذه الأفكار عنها بعدما وصلت أمام غرفة مدير المستشفى.

طرقت الباب ثلاث طرقات ليحييها صوت من الداخل: تفضل.

دخلت الطيبة مبتسمة مؤدية التحية العسكرية لرئيس المستشفى وهو يجلس على مكتبه، وعلى المكتب ترتب لافتة صغيرة كتب عليها العميد: سيف الدين غياض.

يبادلها التحية ثم يأذن لها بالجلوس فتعيد ابتسامتها ممتنه له.

- الحالة مستقرة نوعا ما سيادة العميد، ولكنه عندما استفاق أخذ يهذي قليلا، فأعطيته حبوب مهدئ حتى نام ثانية، أخشى عليه ألا يتمكن من استيعاب الزمن الذي أصبح فيه.

- ممم أرى أنه سيعلم الحقيقة سواء اليوم أو غدا، العقاقير المهدئة لن تمنع ظهور الحقيقة أبدا، حتما سيعلم كل شيء.

ثم أردف قائلا: أخبريني يا دعاء بمَ كان يهذي.

- دعاء: لقد ظن أنني حبيته وناداني براشيل، وعندما قلت له أنني لست راشيل، ادعى بأنني كاذبة وأني قمت بتغيير لون شعري وعيني كخدعة لكي لا يعرفني.

ابتسم العميد سيف الدين ثم فتح درج مكتبه واستخرج ملفا مكتوب عليه الحالة الخامسة عشر (ميشيل رافع عالم بيولوجي)، أعطاه للطبيبة دعاء ثم أكمل قائلا: هذا الملف به كل ما يخص هذه الحالة، أرجو دراسته بعناية فائقة حتى تجيدين التعامل معه، وبالغد سأرفق معك طبيبا نفسيا آخر، لمساعدتك في تأهيله للعودة للحياة مرة أخرى، ولكنني سأخبرك أمرا حيرني كثيرا، لقد عرفت كل شيء عن تلك التجربة، لقد كانوا خمسة عشر عالما من سيقومون بها، ولكن ميشيل اختفى قبلها بأيام قليلة، هذا مكتوب في التقارير، ما يحيرني هو ظهوره منذ أيام في أحد المختبرات السرية

ومرفق معه ذلك التقرير، فأين اختفى وكيف ظهر بعد سبعون عاما؟! ورغم أن التجربة كانت لأربعين عاما؛ فقد بدأ الخمسة عشر عالما يظهرون واحدا يليه الآخر في آخر خمس سنوات فقط.

حين فحصت تقارير التجربة وجدت أنه تم تبديله بابنة عمه راشيل، لقد استفاق العلماء جميعا على سنوات متفاوتة وتم تجنيدهم في أجهزتنا المخبرانية، ولكنني لا أعرفهم لأن الأمر يعد سرا وأيضا لا أعلم أين ذهبت تلك الفتاة.

أريدك أن تقرئي التقرير، وتري لما تشبهين راشيل إلى هذا الحد، ربما كانت محض صدفة!

- ردت دعاء بقلق قائلة: حسنا سيدي، سأبذل قصارى جهدي وأبلغك بالتتائج أولا بأول.

وقفت الطيبة دعاء وألقت التحية مستأذنة إياه بالخروج فبادلها التحية وانصرفت.

ابتسم ابتسامه ذات مغزى وهو ينظر للباب، وجال في خاطره أن هناك مفاجآت كثيرة ستحدث من علاقة الطيبة بمريضها.

- تتم بصوت خفيض: الآن سأعرف هل أنتِ بالفعل فاقدة للذاكرة كما يعرف الجميع، أم أن هناك خطب ما لا نعرفه.

خرجت دعاء من غرفة مدير المستشفى وهي تفكر بذلك التقرير الذي عليها أن تقرأه، ركبت سيارة أجرة لتوصلها حيث مسكنها بمنتصف المدينة، وما إن وصلت ودخلت البناية التي تسكن بها مع أمها حتى جرت على الدرجات بمرح، وكأنها طفلة في العاشرة من عمرها، فقد اعتادت على ذلك، ودائماً ما تنهرها أمها بسبب أفعالها الطفولية.

وصلت إلى باب شقتها لتدق الأجراس بسرعة هستيرية، صوت يأتي من الداخل لسيدة خمسينية بيضاء البشرة وبدينة نوعاً ما: انتظري.. انتظري، حدثت أمها نفسها: لا بد وأن الطارق دعاء، لن تكبر تلك الصغيرة المجنونة مهما نالت من شهادات علمية، حتى وإن صارت يوماً ما وزيرة الصحة، ستظل تفزعني بطرقاتها تلك.

فتحت الأم الباب فاحتضنتها دعاء بطفولية، وظلت تدور بها وهي متعلقة برقبتها فرحة بلقائها، منزلهم كان قديم الطراز، اللون الأبيض يحتل المكان، الجرامافون الموضوع بعناية فوق منضدة فضية اللون، وصوت لنعجات عمر خيرت تنساب ببطء عابرة إلى أسماعهم.

- الأم مصطنعة الجدية: ألن تكبري أبدا أيتها العابثة؟ ستجعليني مجنونة مثلك إن لم أمت بسببك.

- أجابت دعاء وابتسامه مكر ترتسم على شفيتها: أخبرني يوما أنني حتى وإن صرت صاحبة مائة عام سأظل صغيرتك المدللة، سأظل أمارس جنوني ولدينا خيارين، إما أن يهديني الله للعقل، أو سأجعلك مثلي. ولكنني أرجح أننا سندخل قريبا لمستشفى العباسية فقد سمعت أن هناك سريرين فارغين.

وضعت يديها على بطنها ثم لعقت شفيتها، فقد شممت رائحة الطعام الذي يملأ أرجاء الشقة.

- وأكملت قائلة بابتسامه: رائحة ورق العنب تحتل الشارع من أوله لآخره، أكاد أجزم بأن الجيران قد يحسدوننا على هذه الرائحة الزكية.

- ضحكت الأم ملء قلبها وأجابت: حالا يا مجنونتي الصغيرة سأحضر لك الغداء، لأنني والحق يقال أتضور جوعا، وأريد التحدث معك في موضوع مهم.

- أغلقت دعاء إحدى عينيها ثم تحدثت بمكر: أظن أنني أعرف ذلك الموضوع الذي لا تكفين عن الحديث عنه.

- الأم بجديّة: أبلهاء أنتِ يا صغيرتي؟ لقد أخذ مني العمر الكثير وأريد رؤية أحفادي، وأريد أكثر الاطمئنان عليك...

- قاطعتها دعاء قائلة: ولكنني يا أمي لن أتزوج بهذه الطريقة، نحن في القرن الواحد والعشرين، لسنا في الخمسينيات كي أتزوج عن طريق خاطبة!

- لا تستبقي الأحداث يا صغيرتي فالموضوع مختلف هذه المرة، دعينا نحضر الغداء ثم نتكلم ونحن نأكل، قالتها الأم وهي تبسم ابتسامة انتصار.

انتهت دعاء أخيرا من المباحثات والمناورات التي لا تنتهي مع أمها، فتارة تأتيها خاطبة تريد تزويجها لأحد أثرياء الخليج، وتارة أخرى يراها ابناً لصديقة أمها فيتقدم لها دون معرفتها حق المعرفة، فسمعة أبيها الراحل وأمها الزاهدة تشع نورا يلاحقها أينما ذهبت.

هي تبحث عن ذاتها التي اختفت تماما لعدم اختلاطها مع الناس، حتى أنها لم تكوّن صداقات منذ صغرها، تتمنى لو تصبح بطلة لإحدى الروايات التي تقرأها، فهي لا تجد نفسها أقل جمالا من أسيل طيبة زيكولا، الذي خرج من أجلها ملكا بجيش دولته مضحيا بكل شيء لأجل حبها مقدما حياته تحت قدميها.

لن تتنازل عن ذلك الأمير، فارس الأحلام، فإن كانت أسيل طيبة زيكولا الأولى، فهي ستصبح ذات يوم طيبة مصر الأولى.

نفضت دعاء أفكارها المحرقة، وأخرجت الملف الذي أعطاها إياه رئيسها في العمل، تصفحت وريقاته التي تعود طباعتها لما قبل 1940، الصفحة الأولى بها

بعض الصور التي تخص ميشيل وعائلته، قلبت الصور حتى وجدت صورة تشبهها كثيرا ولم تستطع أن تجد الفارق، خاصة وأن الصورة قديمة (بالأبيض والأسود).

ميشيل مزدوج الجنسية، رجل في أواخر العقد الرابع، ولد لأب مصري وأم ألمانية، درس في كلية العلوم جامعة القاهرة، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة ميونيخ، عمل فترة كبيرة في المختبرات السرية التابعة للنازيين، وابتكر غازات جديدة تثير أعصاب أسرى الحرب مما يدفعهم لقول الحقيقة دون الشعور بأي ألم، ولسوء حظه أمره أدولف هتلر بأن تكون أول تجربة عليه شخصا، وتمت التجربة؛ فاعترف حينها بأن أباه وأمّه يهوديا الديانة، والحقيقة أنه كان يخفي ذلك لعلمه بأن النازيين يضطهدون اليهود جميعا.

كما اعترض على السياسات الداخلية والخارجية لأدولف هتلر، ونعته بمجرم حرب هو وميليشياته، من حسن الحظ أن أدولف هتلر لم يحضر تلك التجربة وكلف باحثا علميا بمتابعة تطورات التجربة، وقبل أن يعرف هتلر أي شيء، ساعده مديره بالعمل بأن حقه بحقه قللت من نبض القلب إلى نبضة واحدة في الثانية، فاعتبروا أن التجربة فشلت رغم نجاحها وقاموا بتسليم جثمان ميشيل إلى السفارة المصرية ليدفن في مسقط رأسه.

أخرجت دعاء صورة راشيل وصورة والدتها، تمعنت النظر فيها كثيرا تتأمل ملاحظتها المشابهة، كانت دقائق قلبها تتزايد كلما وقع بصرها على صورة أم راشيل



التي تشبهها نوعا ما، ذكريات مشوشة تحتل عقلها، جال في عقلها لقطات باهتة لنفسها وهي تداعب أم راشيل، شعرت وكأنها تعرفها وجدت دموعها تنهمر رغما عنها، قلبت الصور على ظهورها بحثا عن أي معلومات قد تكون مكتوبة على ظهر الصور، ولكنها لم تجد شيئا، أعادتهم داخل الملف السري ووضعته داخل درج مكتبها.

فجأة ظهر فوق سطح مكتبها خطاب طويل وريقاته سوداء، شعرت بالدهشة حين رآته، ولكن الفضول عماها عن التفكير في ظهوره الغريب، فتحت الخطاب لتعرف محتواه فوجدت...



الخطاب الأول

إلى الطيبة دعاء.. سلام عليك حيث غرفتك الوردية وشعرك الحريري، الذي اكتسب الآن حيويته بعد حمام دافئ، هذا الخطاب الأول ولن يكون الأخير، ولكنني أريد أن أخبرك شيئاً، وأفسر لك سبب تشوش عقلك الآن حين رأيت تلك الصور، ولما جالت في خاطرك ذكريات لك مع أمها وكأنك تداعبينها، لا تتعجبي فأنا أراك من مكاني البعيد كل البعد عنك، وأعلم أن عقلك سيصبح كمصفاة المعكرونة الآن، ستبحثين يمنة ويسرة عني، بالطبع لن تنسي أن تنظري للنافذة لتتأكدي بأنها مغلقة، ثم تقلبين غرفتك رأساً على عقب بحثاً عن كاميرا لعينة تجعلني أراك، ولكنك ستفكرين قليلاً وتعرفين أنه حتى لو كان هناك كاميرا، فكيف ظهر الخطاب فوق مكتبك حين رمشت أعينك! وتتجلى لك ذكرى عرش بلقيس حين ظهر أمام سليمان الحكيم قبل أن يرتد إليه طرفه، ولكن الأولى من ذلك أن تتسألني عن السبب في إرسالي لك هذا الخطاب ولكنني سأخبرك الآن: اليوم استفاق بالمستشفى التي تعملين بها عالم يدعى ميشيل رافع، لا أعلم كيف استفاق من غفوة استمرت لأكثر من سبعين عاماً، خاصة وأنني قد جالسته منذ ستين فقط!

لقد أخبرني حينها أنه لم يدخل تجربة التجفيد من الأساس، أخبرني عدة أشياء عن راشيل ابنة عمه الذي تبناه، أخبرني عن قتله لأمها وأبيها قبل أن يرحل، أخبرني عن

اختفائها، ولكنني حين بحثت عنها وجدتها، ستتعجبين الآن مما سأقول، ولكن يؤسفني أن أخبرك أن اسمك الحقيقي راشيل رافع، لقد تم قتل أبيك وأمك على يد قريبك أو حبيبك كما كان حينها، لقد كنتِ كما أنتِ الآن طبيبة نفسية، ودخلتِ أيضا تجربة التجميد، واستفقتِ منذ خمس سنوات وأنتِ فاقدة للذاكرة، أخذتكِ إحدى الطبيبات وتمكنت السلطات زرع ذاكرة جديدة لك، حينها قد أسندتكِ إليها كابنة لها، لقد اعتنت بك، بل أصبحتِ مسلمة على ديانتها، لا أقول هذا لترجعني عن دينك الحالي، ولا أخبرك بكل هذا لكي أدخل الشر في داخلك، ولكن لا بد أن نتحد سويا، فميشيل يحاول العبث معك من جديد، لا زالت يدها ملوثة بدم أبيك وأمك، إذا كنتِ تشككين بكلبائي تلك، فاسألني أمك ستخبرك بكل شيء، حتى أرسل لكِ خطابي الثاني.

شعرت دعاء بالخوف وأيضا الغضب، والكثير من التعجب، تساءلت بداخلها من أنا؟ ولكن أبي عقلها أن يخبرها.

- رأت أمها من الخارج نور غرفتها مضاء، فنادتها مستفهمة: دعاء ألم تستريحي حتى الآن؟

أخرجها تساؤل أمها عن شرودها فصمتت، تظن أنها ستفعلت من المناوشة معها، تتمنى أن تستقل ولو قليلا، تريد أن تستفرد بعقلها حتى تفكر فيها قرأت، تساءلت فيما بينها وبين نفسها هل الخطاب صادق؟ إذا كانت هي راشيل فكيف لا تتذكر

شيئا عن تلك التجربة؟ إنها حتى لا تتذكر سوى آخر عشرة سنوات قضتها مع تلك السيدة التي تعتقد أنها أمها.

دق باب الغرفة ثلاث مرات ودعاء صامتة، تنظر فقط إليه حتى فتحته أمها من الخارج، نظرت الأم إليها فوجدتها سارحة في الفراغ، اقتربت منها بقلق تلمست جبينها ولم تتفوه بنت شفة، احتضنتها أمها فأغمضت دعاء عينها تستشعر دفء حضن أمها، والدموع تذرف منها بلا انقطاع، ربما وجدت السكن والأمان بين ذراعيها، أغلقت الأم زر الإنارة وغابتا في سبات عميق.

استيقظت دعاء باكرا بعد حصولها على نوم هادئ بفضل حضن أمها المستلقية بجوارها، شعرت ببعض الحيوية وتقلص قلبها وربيتها قليلا، فحقا الجنة تحت أقدام الأمهات، حاولت عدم التفكير في ذلك الخطاب الذي ظهر لها من العدم، رغم رؤيتها للحقيقة كاملة داخل عقلها، قبلت رأس أمها قبل أن تخرج لممارسة عملها في المستشفى.

وما أن وصلت حتى قابلتها المساعدة الخاصة بها تصرخ مستنجدة: أيتها الطيبة، لقد استفاق المريض في الغرفة رقم 300 وأثار ضجة كبيرة بسؤاله عن فتاة تدعى راشيل، حاولنا تهدئته ولكن بلا جدوى، حتى أننا لم نستطع حقهه بالمهدئ...

- قاطعتها دعاء مستفهمة: وماذا فعلتم يا ريم؟
- ردت بقلق: تدخل مدير المستشفى وأخبره أن راشيل في الطريق إليه، فتورد وجه المريض وأشرق بابتسامة وكأنه أخيرا قد وجد ضالته، أعطيناه فيما بعد بعض الفيتامينات بعد وجبة الإفطار، ثم طلب مني الدكتور سيف الدين أن أخبرك حينما تصلين بأنه يريدك على الفور.
- شردت دعاء قليلا في آخر جملة قالتها مساعدتها ريم، ثم فكرت؛ ربما يريد مني أن أتعامل معه بشخصية راشيل! إذا كان يريد ذلك فقد حقق ما أسعى إليه، لن أتقمص شخصية راشيل لأني عرفت أنها أنا.
- كان عقلها مشوشا، اقتربت دعاء من غرفة مدير المستشفى، طرقت الباب عدة مرات مستأذنة الدخول، فأتاها الصوت من الداخل: تفضل.
- دخلت دعاء الغرفة متصنعة القلق، قدمت التحية إلى مديرها، فبادلها التحية وأذن لها بالجلوس ونظراته تحترقها، تشعر وكأنها فأر وقع بالمصيدة، تتمنى لو كان هناك مصباحا سحريا ليخفيها عن نظرات عينيه الحادة.
- تلعثمت ثم قالت بصوت مبحوح: أخبرتني ريم بأنك تريدني.
- سيف الدين: نعم، لقد طلبت مقابلتك لأسألك، ماذا ستفعلين مع الحالة رقم 300، المريض ميشيل؟

- حسنا سيدي، سأتبع معه الطريقة المعتادة في التقويم النفسي مثلما نفعل مع حالات فقدان الذاكرة، البداية هي تهيئته نفسيا لكسب ثقته، ثم إعادة تأهيله للخروج للحياة مثل الآخرين.

- سيف الدين: عظيم.. ولكنني أرى أن نتبع طريقة جديدة في التعامل معه، وأظن أنك تتوقعين ما سأقوله.

- دعاء: هل تريد أن أنقصر شخصية راشيل؟

- سيف الدين: نعم.

- دعاء: سيأتي يوم وتظهر فيه الحقيقة، وعندما اكتسب ثقته كراشيل سيفتضح أمري، لعدة أسباب؛ أولها أنني لا أعرف أي شيء عن راشيل وعن علاقتها سويا، بالتأكيد لديها ذكريات لا أعرفها، السبب الآخر، أننا أصبحنا في الألفية الثانية وراشيل رفضت مرافقته في تلك التجربة وقتها، وأيضا في التقارير الأخرى ذكر أن ميشيل هرب وراشيل دخلت التجربة، الأمر فيه لغز لا نعرفه، فكيف أظهر في حياته كأنني راشيل بعد مرور أكثر من سبعين عاما؟ بالتأكيد سيكون هناك ألغاز علينا حلها، والأدهى لو ظهرت راشيل الحقيقية!

- سيف الدين: يبدوا كلامك منطقياً، ولكنني سأخبرك شيئين، أولهما أن ميشيل كالغريق سيتعلق بفكرة وجود راشيل بمجرد رؤيتك، فلقد كان مولعا بها، أما

الثاني هو مجرد تساؤل، لماذا تظنين أن راشيل قامت بتلك التجربة؟ إذا كانت خاضتها فأين هي الآن؟

- دعاء: ربما لم تستفق بعد، أو أن أمر ظهورها سري مثل الباقين .

- سيف الدين: هذا ما أخبرتك به، لم يكن ميشيل الناجي الوحيد فقد استفاق قبله الباقون في السنوات الأخيرة، ولكن الحكومة تتكتم على تلك الأخبار حتى لا يعلم المجتمع اليهودي عما حدث.

- دعاء: ولكن يبقى السؤال، أين راشيل؟ ألا يوجد أي أخبار عنها؟

- سيف الدين: سنعرف كل شيء في موعده، فبالأكيد لن يظل اللغز لغزا، كل ما عليك الآن اتباع الأوامر وأنا واثق أنك لن تخذليني.

تخطو دعاء نحو غرفة ميشيل سارحة في المجهول، لو كانت بالفعل هي راشيل كما رأته، فالمطلوب منها أن تتعامل مع قاتل أبويها بكل رقي، وإن لم تكن هي راشيل، فليس هناك فارق فبكل الأحوال ستتعامل مع قاتل محترف.

اقتربت من الغرفة، فتحتها ودلفت للداخل، فوجدته مستلقيا على سريره مبتسما إليها، رغما عنها ابتسمت ونفضت أفكارها وقررت ترك كل شيء لتدابير الأقدار، فمهما كان هي لن تتخلى عن قسم مهنتها فهي طبيبة والأطباء ملائكة الرحمة، كيف لملاك أن يترك نفسه لنار الثأر المحرقة؟

- أهده ابتسامه وديه ثم قالت: كيف حالك الآن؟
- تهلل وجه ميشيل، فرك جفني عينيه لا يصدق أنه يراها أمامه بابتسامتها التي لم تحرمه منها: بأحسن حال، كان ينقصني وجودك يا صغيرتي ولكن الكوايس تطاردني كثيرا.
- أغلقت نصف عين ثم قالت: أي كوايس؟
- ميشيل مستفهما: هناك أشياء لا أفهمها، هذه الغرفة معداتها حديثة نوعا ما، شككت لوهلة أنني ما زلت في ألمانيا حتى رأيت المعالجات يتكلمن العربية، الأغرب أنني رأيتك بمنامي بالأمس بنفس شكلك الآن.
- دعاء باهتمام: ماذا رأيت في منامك؟
- حلمت أن عينك أصبحتا بنيتان وشعرك أصبح أسودا مثلما أنت الآن، كيف تغير شكلك يا حبيبتني؟
- فأجابته دعاء بتلعثم: لا تشغل بالك بكل هذا فأنت الآن بأمان وهذا هو المهم.
- ميشيل: وماذا عن محرقة هتلر وأين أمك يا راشيل لماذا لم تأتي معك؟
- دعاء: أمي في البيت في أحسن حال، أما هتلر فقد اختفى كحبات الملح لا أحد يعرف أين هو؟
- ميشيل غير مصدقا: هل كل هذا حدث في يومين فقط؟

- دعاء: عليك أن تستوعب ما أنت عليه الآن يا ميشيل، أنت الآن في الألفية الثانية، اليوم هو الخامس من نوفمبر للعام السادس عشر بعد الألفين..
- ميشيل ضاحكا: ألن تكفي عن ذلك المزاح؟
- دعاء بجدية: أنا لا أمزح يا ميشيل!
- أخرجت دعاء هاتفها النقال وأعطته إياه قائلة: أنظر للتاريخ.
- أخذ منها ميشيل الهاتف قائلا: هل هذه إحدى ألعبيك ثانية؟ منذ شهر قدمت لي القهوة مرة كالعلقم عقابا لي بعدما رفضت أن تتنزهي مع أصدقائك، والآن تعطيني لعبة سحرية وكأنه مكتوب عليها تاريخ لم يأت بعد؟
- دعاء: اهدأ يا ميشيل المهم أنك بأمان، ثم أردفت: لقد انتهت الحرب للأبد بعدما ضربت أمريكا هيروشيما بالقنبلة الذرية لتصبح فتاتا، وانتهت إمبراطورية اليابان بعد استسلامها وهزيمة ألمانيا على يد الروس.
- ثم هرب هتلر واختفى للأبد، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا دولتان عظيميان وقامتا بتكوين مجلس كوني يسمى بمجلس الأمن، اليابان أيضا خرجت من تحت الأنقاض لتكون أكبر دولة صناعية بالعالم نلقبها الآن بالكوكب الآخر.

- ميشيل: ماذا؟!
- دعاء: كما قلت لك، صدقني لم أخف عليك شيئاً، كل هذا حقيقة حدثت منذ عشرات السنين.
- ميشيل متفكراً: إذا كان كلامك صحيحاً، فأنا أتذكر آخر كلامنا حين رفضت مرافقتي في تلك التجربة، فكيف نحن في زمن آخر أنا وأنتِ معا؟
- لم أحتمل فراقك يا ميشيل خصوصاً بعد وفاة أمي، ولذلك طلبت من العلماء أن أخوض تلك التجربة، فبالفعل الموت الرحيم خير من محرقة هتلر! قالتها دعاء بوجه متجمد.
- ميشيل باهتمام: أكمل.
- صحوت من سباتي قبلك بعدة سنوات فاقدة للذاكرة، ولكن كما قلت لك، الدولة احتضنتني ورزقني الله بسيدة حنون أعيش بين أحضانها كأنها أمي، وهي التي أخبرتك عنها بأنها في البيت، عندما تركتني كنت فتاتك البنت ذات الخامسة والعشرين عاماً، مدلتك الصغيرة فاتتك وجنتك كما كنت دائماً تقول، كنت تكبرني بسنوات كثيرة رغم ذلك لم تشعرني بفارق العمر بيننا، الآن لا زلت أنت في السابعة والثلاثين من عمرك، أما أنا فقد كبرت خمسة أعوام، لقد تقلص الفارق بيننا إلى سبع أعوام فقط.
- كما ترى لقد أصبحت دعاء الطيبة النفسية ولا أحد غيرك يعلم هذا، كلهم يعتقدون أنني فاقدة للذاكرة بصفة نهائية، حتى أمي الجديدة تقص على حكايات

عن زوجها وكأنه أبي، تحاول أن تشعرني بطعم زائف لذكريات لم أعشها قط، ولكنني أحاول إرضائها لأنها قدمت لي كل شيء، حتى عملي في هذا المستشفى كان بفضل علاقاتها.

سأعرفك عليها قريباً، ولكن لتعلم شيئاً مهما أنني لم أعد يهودية كما كنت، فقد هداني الله إلى الاسلام.

نظر إليها ميشيل نظرة ذات معنى وانفتح فاهه على مصراعيه، استطردت قائلة: لا تغفر فاهك هكذا، كل ما عليك الآن أن تهدأ ولا تفكر، مكوثي معك في الغرفة لوقت طويل سيثير الشكوك حولنا، انس أنني راشيل، وأمام الجميع نادني باسم دعاء.

- ميشيل بتؤدة: حسنا يا دعاء.

للمت دعاء نفسها ورحلت من أمامه بخطوات ثابتة.

كانت دعاء تسير بين الممرات شاردة الذهن، تفكر هل ستظل في هذه اللعبة كثيراً وهي لا تعرف من هي في الحقيقة؟

الحياة بالنسبة لها عبارة عن عربات قطار متصلة، لها بداية ونهاية تدور حول خط واحد مارة بمحطات عدة، وهي تاه عن عقلها جل ما مرت به، فأصبحت كالفراشة المعلقة بين السماء والأرض، لا تعرف وجهتها ولا تعرف ماذا عليها أن

تفعل، أحيانا الفضول يدفعنا بأن نفتش في سراديب الماضي، ولكن ما إن نكشف خباياه حتى نندم ونتمنى أن ننسى ما قد عرفنا، شعرت بالضيق فأخرجت هاتفها النقال واتصلت بأمها، تكلمت بصوت مكتوم: السلام عليكم..

- شعرت الأم بها فتزايدت دقائق قلبها لترد عليها بقلق: وعليكم السلام، ماذا بك؟ ما بال صوتك لا يريحني؟
- تفرقت دمعة دفيئة في مقلتي عينيها ثم قالت: أمي أحتاج إليك كثيرا..
- الأم بهلع: ماذا حدث؟ هل أنت بخير.
- دعاء: لا تقلقي يا أماه أنا فقط متوترة نوعا ما، وأردت سماع صوتك كي أشعر بالأمان.
- الأم: أين أنت الآن؟
- دعاء: ما زلت في العمل.
- الأم بصوت دافئ: حسنا.. عشر دقائق فقط وسأكون معك، لا تغلغي المكالمة سنظل سويا على الخط انتظري.
- بدلت الأم ملابسها سريعا، ولم تمر سوى دقائق قليلة حتى أتها متخطية حاجز الزمن، احتضنت صغيرتها ولم تنفوسها بشيء، أبعدت الأم ابتها وهي تمسك منكيها بشدة، ثم همست قائلة: لا تقلقي أنت الآن معي، سنخرج من هنا إلى أقرب نادي نتناول غدائنا وتفرغي كل ما بداخلك.

دعاء هزت رأسها مستسلمة تماما للكلمات أمها، وصلا إلى أبواب أحد النوادي، مرا لداخله وجلسا على أقرب منضدة في طريقهم.

بعدهما جلست لاحظت كتيبا صغيرا وريقاته سوداء، فتحتته لتجد ما توقعته...



(الخطاب الثاني)

إلى الطيبة راشيل رافع، سلام عليك وعلى من تجالسك الآن، قبلما أظهر لأحاورك فيها حدث وقبلما أطلب منك أي شيء، سأخبرك عن نفسي الكثير مما لا يعرفه أحد، حتى أنا لم أكن أعرف عن حقيقتي شيئا حتى علمت من وقت ليس بالبعيد، سأخبرك الكثير والكثير عن ميشيل رافع الذي اختفى في القرن الماضي ثم ظهر ثانية، ليختفي ثانية بعدما عرفنا جميعا حقيقته، أعلم أنك تقرئين خطابي الآن، وأنا أنتظر بمكاني حتى تستفيقي من صدمتك.

هذا خطابي الثاني، أكتبه لك بعدما وصلت لقمة قوتي في رحلة غامضة لم أكن لأفهمها حتى وصلت لمتنهاها، لن أطيل في المقدمات المملة لأنني لا أحب المماطلة سأبدأ بقصتي ولتنتهي فهذه حكايتي الحقيقية، أسردها لك من داخل مستشفى النيل للصحة النفسية بالغربية، بعدما استطعت أن ألتقط أنفاسي بعد سنوات قضيتها حبسا داخل غرفتي البيضاء بتلك المصححة:

أنا عثمان، صاحب القصة وراويها وضचितها، وربما أنا ما وراء المسألة من بدايتها لنهايتها، ها هنا أنتهي من حيث بدأت، حيث مسقط رأسي وربما كانت نبوءة عائلتي صحيحة وليست حكايات تخييم أو أسطورة مثلما كنت أعتقد.

لم يكن موت أمي موتا طبيعيا مثلما اعتقد أهلي قديما، كنت في السابعة من عمري حين كنت أراها تختلي بنفسها كثيرا في غرفتها المظلمة، لطالما سمعت أصوات وهمسات وأحيانا صرخات مكتومة لها أو كما كنت أظن أنها لها، حتى جاء ذلك اليوم الذي علت فيه صرخاتها فأفزعت من كان موجودا بالمنزل، كسر أبي الباب ليجدها ملقاة على الأرض منكبة على وجهها، ويديها ممدودتان أمامها وكأنها كانت تزحف لتتقذ نفسها من شيء ما، عيناها الفزعتان وفمها المفتوح كانا لا يندران بخير، هناك شيء ما تسبب بقتلها.

حملها أبي بين يديه واتصل بصديقه الطبيب، الذي أخبره بأنها قد فارقت الحياة.

سأله أبي عن سبب الفزع الذي يرتسم بعينها، فأخبره الطبيب بأنها آثار سكرات موتها، لم أكن أفهم ما يقولون، ولكنني رأيت نظرة ارتياح في أعين أبي رغم الحزن الذي يعتريه.

تسللت إلى غرفة أمي وكما عودتني أن أصلي بجانبها، دخلت لأصلي بجوار جسدها المسجى أرضا ولكن ما إن بدأت حتى أعشني علي، وبدأت الكوابيس فكأن الغرفة تبدلت وسقطت في بئر سحيق من الظلام، رأيتها تقف بجانبها بفمها المفتوح

وعينيها الحمراءوين تنظر إلي بكره وغيظ وكأنها تتوعدي، شعرت بأن أنفاسي حبست وكأنني لم أر حبا منها قط.

تغيرت أمي، تغيرت ملامح الغرفة، وكأنني في غابة ولكن الثعابين تملكتهما، أحاطتني الأفاعي في دائرة مغلقة وخفضوا رأسهم وكأنهم ساجدين أمامي، حاولت أن أصرخ ولكن صوتي أبي أن يخرج من حلقي، أغمضت عيني لا أعرف كم من الوقت قد مضى ولكنني استفتت، حين شعرت بالماء يتدفق فوق رأسي، فتحت عيني لأجد أبي يحتضني ويسألني عن سبب تسليي، حاولت النطق ولكنني لم أستطع، عرفت وقتها أنني فقدت النطق وضاعت مني الوسيلة الوحيدة للتواصل مع أبي.

رأيت تلك الأفاعي تخرج من الغرفة أمام ناظرهم ولكنني أنا الوحيد الذي أراها، لم يكن كابوسا كما ظننت، كان حقيقة مؤلمة ماتت أمي بسببها أو ربما قتلوها لسبب ما لا أعرفه لصغر سني.

مرت الأحداث مسرعة؛ مظاهر الغسل وتشيع جنازتها، مشاهد المقابر وأسماء أموات مكتوبة من مئات السنين، تساءلت في نفسي يا ترى كل من مات رأى ما رأيت أم أن حكاية أمي تختلف عنهم!؟

انتهت المراسم بل ومرت أيام وأيام، كنت أراهم حين أنام بآخر وضعية لهم وهم ساجدين أمامي، حاولت ألا أخاف ولكنها الفطرة، فطرة الخوف من المجهول.

أقرب أحدهم مني وأخرج فحيحا بلغتهم ولكنني فهمته، لا أعرف كيف ولكنه كان كالآتي: (انتهت العملية مثلما أردت سيدي، ماتت أمك مثلما تمنيت، في انتظار أوامر أخرى، إذا أردت أن تطاع مرة أخرى فعليك بتقديم الدم الاقرب إليك)

لم أفهم لصغر سني فأومأت برأسي، واختفى المشهد ومرت سنوات كثيرة ولم أرهم بعدها قط، حتى وصلت للمرحلة الثانوية، وعندها كان مقتل والدي في حادث غامض ولكن موته أخبرني بالقصة من بدايتها، وقتها فهمت لماذا ماتت أمي.

لقد كان مقتل أبي الطامة الكبرى حيث مات مسموما، ملدوغا من أفعى كانت بجوار بيتنا، نسيت أن أخبرك أنني من محافظة الغربية، حياتي هي الريف والخضرة والهواء النقي، أصدقائي هم البهائم في حظيرتنا، والتي بلا سبب تبتعد عني وتزجر حين أقرب، ولا أعرف لماذا وكأني عفريت ولست بشري يحن عليهم بطعام وشراب.

علاقتي بعلماء وشيوخ بلدتنا شبه خربة فلا أحد يريد أن يعرفني، الجميع يكرهني بلا سبب رغم أنني لا زلت لا أتكلم وهم كانوا يتجاهلونني وكأني أبكم وأصم، أسمع الجميع يتهامسون بأني ملعون أو يظنون بأني ملعون لا أعرف لماذا!

ولكن ما أعرفه أني لا أكره أحدا، لأن من يتهامس وأسمع همساته الخبيثة أتمنى موته، وما أن يختفي من أمام ناظري وأنشغل بشيء ما، حتى أسمع أنه فقد واختفى، ربما غرق في إحدى الترع أو مات إثر سم ما.

نظرتي كانت كافية لأن يسكت الجميع، أظن أن الكل يعرف ما تجبئه نظرتي عداي أنا لا أعرف شيئاً.

لما يموت كل من حولي؟! في العموم لا أهتم لكل ذلك فمأساتي هي موت أبي، وليست موت البعض من الحبيبين أنصاف البشر المهجنة بحيوانات دميمة، كانت حياتي تبدو طبيعية أو شبه طبيعية، دراستي كانت كالكابوس، الطفل البغيض المنفي في آخر مقعد تحول أخيراً إلى مراهق بالثانوية ولم يتزحزح مكانه عن آخر مقعد ولو لبضع سنتيمترات.

تلك مأساتي مع الفتيان والرجال، أما عن الفتيات فكنت فتى لأحلام الكثيرات، كلهن معجبات، كلهن عاهرات، أسمع همساتهن أرى نظرات الإعجاب ولكن لا تستطيع إحداهن أن تقترب قيد أنملة لبغض عائلتها لي، حتى وجدتها من بينهن تلك الفتاة القصيرة غادة، شعرت بأنها كل شيء لي، عائلتي التي لم أشعر بدفئتها يوماً وجدتها داخل عينيها، كنا نتبادل النظرات وأخاف الاقتراب، وقررت يوماً أن أتجرأ وأفصح عما بداخلي.

تجاوزت معي، شعرت أنني ملكت الكون بقبضة يدي، ولكن لا كمال في الدنيا، لا يوجد حب كامل ولكنني أرجو أن تدعيني أكتبها لك من البداية؛ قديماً كان العرب والمصريون يستخدمون الرسائل الملونة، العبقة بأجود أنواع العطور الفرنسية، والمزينة بالرسومات اليونانية ليخطفوا عقول وقلوب من يحبون، بل يكتبون في

بداية خطاباتهم كلمات فرنسية لأنها تجذب عقولهن فكما قال أحد الفلاسفة
الثرثارين: "إذا أردت مخاطبة النساء فخاطبهن بالفرنسية"

أما الآن فالأمر أسهل بكثير لخطف عقولهن، فما أن تخطب ابنة خالة الفتاة حتى
تنهرها أمها عن سبب تأخرها في الزواج، وكأننا في موسم تزواج الكلاب وعليها
أن تخرج ريجها لينجذب باقي القطيع لرائحتها.

أصبحت جميع الفتيات تنتظرن الفارس على حصانه أبيض اللون، أو تقمن
باصطياده بإحدى شقلياتهن في أحد الافراح، ويأتين كالمجاذيب معجبين بفتاة مولد
السيد البدوي.

أما الأخباريات فلا حول لهن ولا قوة، فهن جالسات عفيفات على حواسبهن
المحمولة، يستمعن لتلك الأسطوانة اليومية؛ لن تتزوجي أبداً لأنك خائبة الرجاء
كالأرض البور.

ولكن تظل العروض المتتالية على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، المسماة بالفيس
بوك للتعارف فإما تصيب أو تخيب، وللأسف الكثيرات يقعن فريسة بين برائن
الكلاب المفترسة، ومن كلب لكلب تصيح كاللقمة السائغة، تنتظر حملاً وديعا يغفر
لها ماضيها، وتحاول نسيان ما اقترفت من ذنوب.

ولكنها عادة، تلك الفتاة التي اختطفت قلبي واستوطنت عقلي، حكايتها معي كانت مختلفة، فنحن بالفعل كنا صديقين ولسوء حظها أنني لم أكن أحسن الكلام، لأنني كما قلت لم أتكلم منذ كنت في السابعة من عمري، فكان الكلام دائما يقتصر على كلمات تكتب في محادثات إلكترونية، تغازلني فأبتسم وكأنها تداعب طفلا في مهده، ولكنها لم تكن ترى ابتسامتي من خلف الشاشات، وتلك مشكلة الحب الإلكتروني يخفي أكثر ما يظهر.

حتى ردودي عليها لم تكن بنفس قوة كلماتها، كانت تطلب دائما ردودا رومانسية لا أعرفها، فأنا كالفتاة البكر التي لا تعرف شيئا عن أي شيء، كنقطة الندى التي وقعت من فوق شجرة عالية فوق طريقا من الأسفلت، ظللنا كثيرا مع بعضنا البعض ترسل رسائلها لأرد برد بسيط؛ إني أحبك ولكنني غير ماهر بالكلمات ومتى كانت الكلمات دليلا كافيا للحب؟! فرب ماكر زلزل فؤاد فريسته بالكلام، ورب حبيب رفع مليكته فوق السماء بأفعاله.

ربما لم تقتنع فأصبح تنمرها وازدراءها يزداد يوما بعد يوم، حتى سألتها ذات يوم لماذا تغيرت وأصبحت دائما متأففة من الحديث معي؟ أفعلت شيئا أزعجك؟

- أجابت: أنا لا أستطيع أن أستمر في هذا العبث، لقد أصبحت أضحوكتهم بسببك، يجب أن تتعد عني وتتركني وشأني.

- ابنتها وأنا غاضب: ماذا أحببت في إذا؟ فأنا منذ البداية لا أتكلم، وأنت أول تجربة لي، أنا وجدت نفسي معك، الآن ليس لي سواك، وتعرفين كل ذلك.

لست مفعما بالأحاسيس مثل باقي زملاء، لا أستطيع القهقهة والضحك مثلهم، لا أستطيع التراقص، لست مثلهم في أي شيء حتى أنني لست مميزاً، أنا مكروه ووجدت ضالتي بك، أنا اقتربت حينما فتحت الباب لي، فلم تغلقينه الآن لم تقتلين آخر أمل لي في أن أصير مثلكم طبيعياً ذو قلب يُحِب ويُحَب لماذا تفعلين ذلك؟!

أحقاً كل ما أردته هو أن تكسريني، ماذا فعلت لك؟

كنت دائماً تنظرين إلي بأعجاب من بينهم جميعاً وكأنني فتى أحلامك، شعرت برغبتك في الاقتراب، خفت من ضياعك فاقتربت أنا.

حقاً لقد صدق من قال ومن الحب ما قتل، كانت غاضبة فحسب، أخبرتني بأن لا داعي لذلك الهراء، وأنها كانت تريد شخصاً طبيعياً يغدقها بحب لا ترى مثيله ولكنني غريب الأطوار.

حتى اقترابها كان مجرد خطة لمعرفة ماهيتي ولكنها فشلت، فلا أنا صالح للمعيشة ولا للحب، ما أنا سوى آلة غبية تأكل وتشرب.

أغلقت حاسبي بغضب متوعداً إياها، ففي النهاية سيفتقدها أهلها كثيراً!

ولكن بعدها عرفت أن الإعجاب أدنى درجات الحب، فالمسكينة كان يعجبها حب الأخرىات لي تريد، أن تسبقهم للإيقاع بي في شباكها، ويا ليتها ما فعلت! فلعنة الفضول دائما ما تقتل صاحبها.

نمت باكيا، لأول مرة منذ سنوات تمنيت لو أراهم، أن يأتوني ولو لمرة أخيرة لتنال تلك الكاذبة عقابها، انتظرتهم يوما فالثاني فالثالث ولم يأت أحد، حتى ظننت أن ما حدث بالماضي كان مجرد وهم، وأنني كنت أحلم، ولكن إن لم يكن بي شيء، فلماذا أنا ملعون ومكروه؟

لماذا يبتعد عني البشر، حتى الحيوانات تخاف وتهرب مني عدا الذئاب تظل تطاردني؟

حتى تلك الليلة التي قررت فيها أن أقوم بأخر تجربة لعلها تنجح، أغلقت باب غرفتي ثم قطعت سرايين يدي، وناديت بأعلى صوتي: أيتها الثعابين إني أقدم دمي فإنه أقرب من أقرب دم لي، أيتها الثعابين أنا أريد تدمير البقية، أريدهم أمواتا، لا أريد أحدا على هذه الأرض، إن كنتم تستطيعون تنفيذ مطلبي فهذا أنا أمامكم بدمي، عليكم تنفيذ الاتفاق.

فجأة شعرت بزلزال قوي وأغشي علي، رأيتهم كما تركوني منذ سنين عدة واقفين أمامي، اقترب كبيرهم مني، وأخرج فحيحا: (دمك ليس المطلوب، رغم أنه غال

علينا فلا تهدره، نعلم أنك تريد تدميرها، الدم الأقرب إليك هو أبيك فإن أبيت فلا طاعة لك، وإن وافقت فطلباتك مجابة، تذكر لا تهدر دمك فإنه مختلط بدمائنا).

فتحت عيني لأجد تدفق الماء على رأسي، وكما حدث بالماضي من أبي تكرر ووجدته يحتضني، صراع بين حبي لأبي الذي ضاع لسوء معاملته، وبين انتقامي ممن جعلتني دمية بين يديها فكان الانتقام اختياري، ضحيت بأقرب دم لي، ضحيت بمن يربطني بعالم البشر، ضحيت بدمي.

وجدتني بلا سبب أهمس في أذن أبي فائحا: لن تعيش طويلا، حياتك على المحك يا أبي .

ورغم ثقتي بأنه لن يفهمني، كنت أعلم بأنه شعر بأني أدبر للخلاص منه فنظرتي كانت كافية، وجدته يرتعد ولكنه يظهر عكس ذلك ويجاول الثبات، رغم ثقتي بأنه فهم ما أخبرته به، لم أحتضنه حتى، لم أودعه الوداع الذي يليق به كأب لي، بعد ذلك بساعتين وجدوه قتيلًا خارج البيت.

لا أنكر أنني تفاجأت بموته بتلك السرعة، ولن أنكر أيضا أنهم ينفذون عملهم بحرفية كفرقة اغتيالات من المافيا، وكل ضحاياهم يموتون في حوادث تصنف تحت صفة القضاء والقدر.

مرت مراسم الموت للمرة الثانية ولكن تلك المرة لم يكلمني أحد، أخي وعمي من تكفلوا بكل شيء أما عني، فكنت أقف بعيدا أشاهد في صمت ما يحدث وكأني ضيف عليهم، حتى الصلاة لم أستطع أن أصليها عليه ثمة شيء لجمني.

انتظرت المقابل بعدما قمت بتقديم دمي الأقرب فلم أسمع به، كنت أراها يوميا على عهدها، تضحك مع زميلاتها لا تأبه لنظرات كسيرها الذي خدشت قلبه بلا سبب، حتى جاء ذلك اليوم الذي حلمت فيه بأني أمشي بين الخضرة، وخلفي تلك الأفاعي وكأننا مجموعة من الأصدقاء خارجين في نزهة لطيفة، وكل خطوة نخطوها نجد شخصا ما معلقا من قدميه على أحد الأشجار، الكثير من الضحايا أمر عليهم فلا أبه لهم، حتى رأيتها مقيدة باكية منتحبة ولكنها حية لم يمسه أحد منهم، اقتربت منها، صرخت بي أنت من فعلت هذا؟ أنت من قتل عائلتي؟

- أكملت قائلة: أعلم أني كسرت قلبك، أعلم أني لطخت روحك بالجروح، ولكن ما ذنب عائلتي؟

كنت أعلم أنك ملعون من البداية الكل يعلم هذا ولكن لماذا عائلتي؟ لماذا هم؟ ألم يكن قتلي يكفيك؟

- همست الأفعى الكبرى في أذني قائلة: إن قتلتها سترحمها، ولكن بلمسة صغيرة من إصبعك تصبح مجذوبة القرية، ستظل معذبة مدى الدهر.

لمستها على جبهتها فصرخت بأعلى صوتها، صحت من نومي على صوت جلبة بالقرية، علمت أن جميع أفراد عائلتها ماتوا بلعنة ما، أما عنها فمختفية، لم يرها أحد، لقد نلت بدم أبي دم اثنين وسبعون دم مخلوق آخر، تلك معادلة عادلة.

كانت رائحة الموت تطاردني أينما لبثت، أصبحت وحيدا كآخر جرثومة قضى المطهر على 99٪ من نسلها، ولكنني كنت الجرثومة التي لا تقهر، ربما كنت الفيروس الذي تسبب في قطع نسل عائلته، ولم يتبق سوى الأقلية الذين لا يريدون معرفته.

تركت البيت وفضلت البقاء كالمطاردين في مزارع القصب، أتذكر لحظات جمعتني بأمي حين كانت تساعدني في الاستحمام، أتذكر مدحها لي بأني مميز وسيكون لي شأن ذات يوم، أغمضت عيني فداعبت رائحتها أنفي وكأني عدت من جديد بين يديها.

فتحت عيني ووجدتني أجلس كما أنا بين مزارع القصب، ولكن جسدي كان كأنه لشخص آخر، شعرت أني كالطيف أطفو بلا إرادة مني إلى بيتنا ولكن ديكوره يتبدل شيئا فشيئا، حتى رأيتها معي تغسلني، سمعتها تنفوه بنفس الكلمات التي كنت أتذكرها منذ قليل، أخبرتني الكثير مما لا أعرفه عن سبب اختلافي عن بقية البشر وهو ليلة اختلائي مع أبي لقضاء حقوقهم الشرعية عرفت وقتها أنه يستلزم على الزوج قول دعاء معين وإلا سيكون الشيطان ضيفا عليهم، وأبي لم يكن يقل ذلك الدعاء، حتى شعرت بألم شديد وكأن أبي شخصا آخر، بعدها عرفت أنها تحملني في أحشائها، كانت ولادتها غير طبيعية أبدا فقد حملت بي ستة أشهر فقط.

فجأة المكان تغير واستفتقت لأجدني كما أنا بين مزارع القصب ولكنني عرفت بعضا من الحقيقة، احترت كثيرا، هل أنا حقا ابنا للشيطان؟! لا أعرف، ولكنني سأسألهم حين يأتون، أعرف أنهم بجانبني دائما ولكنهم لا يأتون أمامي حتى أطلبهم.

ظللت على ذلك الوضع أياما ليست بالكثيرة، أحاول أن أعيش كشخص طبيعي ولكن الطبيعة لا تحبني، الحيرة مكتوبة عليّ، شعرت بشيء ما يسحبني لا إراديا إلى عالم آخر، لأرى أبي قبل موته يكتب خطابا لي وكان الخطاب كالاتي:

(صغيري العزيز عندما تقرأ رسالتي سأكون قتيك لا محالة، لقد عرفت ذلك منذ سنوات عدة، منذ نعومة أظافرك وأنا أتشمم فيك رائحة أخرى، لم تكن طفلا كأبي طفل، الجميع يخاف الاقتراب منك حتى الأطفال كانوا لا يلعبون معك، جلدك كان ناعما عكسنا جميعا، كنت أشعر أنك لا تشبهنا، وكأنك لست ابنا لي.

انتابنتي الشكوك ذات يوم فأجريت تحليل ال (DNA) وتأكدت بأنك ابنا لي، ولكن حين تفحصوا الحمض النووي أخبروني أن هناك شيء عجيب في تركيبة حمضك النووي، هناك خليط من حمضين نوويين ذكريين واحدا لي والآخر لم يكتشفوا صاحبه، بالإضافة لحمض أمك النووي.

كنت أعرف أن بك شيء غامض، حتى جاء ذلك اليوم الذي قتلت فيه أمك، أنت من قتلها ولكنك لم تتذكر وقتها، أتذكر حين أغشي عليك جيدا، أتذكر كلماتك التي

تفوهت بها مع الفراغ، لا أعلم مع من كنت تتحدث، ربما كائنات فضائية أو أحد الشياطين.

كنت الوحيد معها في الغرفة، وجدتك تقبلها من فمها وكأنك تخطف روحها، بعدما سمعتك فقدت النطق ولم يخرج لك سوى فحيح يشبه صوت الأفاعي.

بالتأكيد هذا ليس دليلا على قتلك إياها، ولكن المصائب انتشرت في بلدنا بعدها، كلما كنت تختفي عن ناظري، كنت أجدك في مكان ما مغشيا عليك وبجوارك قتيل أو ربما اثنين، كنت أخفيك عنهم لأنهم بدئوا بالشك بنا، ولكن من يظن بأن طفلا قد يرتكب كل ذلك؟

أصبح الجميع يلقبونك بالملعون، وأصبحت مذموما، الجميع يكرهك ما عداي أنا، حتى أخوك ابتعد عنك، تركت عملي وتفرغت لمراقبتك حتى لا يؤذيك أحد أو تقدم على إيذاء نفسك.

أذكر يوما حاولت عرضك على أحد المشايخ واستقبلته في بيتنا، ولكنه هرب وقت دخوله البيت، لم يستطع تحمل المكوث في البيت أكثر من خمس دقائق، لا أعرف هرب منك أو ممن كنت تراهم!

لا أعرف شيئا سوى أنني أريدك دائما بخير، بداخلنا يا بني ذئبان يتصارعان يوميا، أحدهما يسارع للخير والآخر للشر، أريدك بعدما تعرف ماهيتك أن تغذي الخير فإنه دائم، اقتل الشر بداخلك لا تدعه يقتلك ويسلب آدميتك.

حتى وإن كنت ذا قوة تفوق مخيلتك، فحاول أن تستغلها في الخير لا الشر، فإن الشر سيقتلك ذات يوم ولن تبقى سوى سيرتك السيئة.

في الختام أريدك أن تعرف أنني لم أحب سواك أنت وأخيك، سأفتقدك كثيرا يا صغيري.

(أبيك)

الآن حصحص الحق فأنا من قتلهم كما أخبرني، ربما كنت مختلا عقليا مريضا بالقتل منذ نعومة أظفاري؟!

احترت بين سطور كلماته، أصبحت مجرد آلة قتل بين أيديهم لا شخصية لي، لا لست مميزا.

مات الجميع بسببي، مات الأقربون بسببي، لم أعد كما كنت، لقد أطيح بنصفي البشري، لم أعد أعلم ماهيتي، ولكنني أعلم أنني أقوى من في الأرض، مثل الذئب الذي سيقبض بيديه على الأرض يوم القيامة ثم يهتف قائلا لو علمت قوتي لقتلت أهل الأرض جميعا.



عزيزتي دعاء أنا وأنت داخل دائرة واحدة يحكمها الشر، لقد أدخلك أحدهم في
الدائرة ولسوف أخرجك منها، إلى اللقاء في الخطاب الثالث، لأشرح لك لما
اخترتك أنت دون معرفة سابقة.



(ابن ناچيني)

نظرت راشيل (دعاء) عن يمينها وعن يسارها وهي تعلم أن لا أحد سيظهر لها، فالخطابات تأتيها دون أن تعرف مصدرها ولكنها تعرف ما عليها فعلة، هناك قوة ما لا ترغب بوجود قاتل أبويها، إذا فالمصلحة مشتركة وعليها اتباعه حتى وإن كان في اتباعه هلاكها، فجأة سمعت صوت أمها وكأنه يأتيها من مكان بعيد:

- إلى متى ستظلين شاردة الذهن يا صغيرتي، أين ذهبت ابتسامتك؟

- ذهبت بلا رجعة يا أماه، لقد عرفت الحقيقة التي لطالما أخفيتني عني، عرفت من أهلي الحقيقيين ..

- قاطعتها الأم قائلة: أجننتِ يا دعاء؟! أنا أمك، لو كنت أستطيع أن أعيد إليك ذاكرتك لفعلت، لقد كنتِ دائماً فتاة مشاكسة كما أنت الآن.

- ابتسمت لها راشيل ثم قالت: أشكرك على كل شيء، لقد كنتِ أُمي أكثر من أُمي الحقيقية، لم أشعر أبداً بأنني لست ابتتك، لقد عرفت الحقيقة وعادت ذاكرتي لي.

كادت الأم أن تتكلم فأجبتها راشيل وهي تقول: لقد رأيت قاتل أبواي ووصلتني بعض الرسائل الغامضة، حتى عادت الذكريات تقتحم عقلي، أنا أعلم أنك تحبيني ولكن أريدك أن تفهميني ما لم أعرفه، كل ما أتذكره أنني استفتت بالمستشفى ثم

عرفتني وقتها بأنك أمي، ولكن ما أريد أن أعرفه، من هو الشخص الذي طلب منك أن تتبنيني؟

- تنهدت الأم ثم قالت: الموضوع سري للغاية يا صغيرتي، سأخبرك ما أعرف لأنني لا أخاف من أحد سوى الله، ولتعلمي أنني لم أقصر أبدا تجاهك لقد كنت ابنتي التي لم أنجبها، حين استفقت طلب مني العميد سيف الدين غياض أن أكفلك وأتكنم على الأمر، لأنهم ينتظرون ظهور ميشيل رافع قريبك، إن حكومتنا رشيدة يا صغيرتي، كانت تعلم أنه سيظهر ولذلك حين وجدوه في المختبر السري، أتوا به إلى المستشفى الذي تعملين به لتحدث المواجهة، وكونهم لم يجبروك بحقيقتك فهذا لحمايتك فقط، أخبريني عما تنوين فعله.

- سرحت راشيل في الفراغ ثم قالت وكأنها تحدث نفسها: لقد وصل إلي حتى الآن خطابان من شخص خفي، ولكن في الخطاب الثاني كتب لي أين يسكن، الآن عرفت ما علي فعله.

علي السفر إلى محافظة الغربية، قبل أن أواجه ميشيل للمرة الثالثة، لربما حينها أستطيع رده والأخذ بثأري.

- الأم: أخاف أن يصيبك سوء يا صغيرتي، فأنت كل ما لدي في هذه الدنيا.

- احتضنتها راشيل ثم قالت وهي تضمها: لن يحدث شيء، لقد عوضنا الله ببعضنا البعض، سأرجع إليك ثانية لا تقلقي فأنا أعرف ما عليّ فعله.

سارت في طريق اللاعودة فهي وحيدة تقابل المجهول بشره، لا تعرف هل صحيح ما هي مقدمة عليه أم لا، لقد آمنت بدعوة واحدة "اللهم اضرب الظالمين بالظالمين وأخرجنا منهم سالمين" ولكن أين السلامة وهي مضطرة أن تنضم لأحدهم للانتقام من الآخر؟

مرت عليها الليلة ببطء وهي تفكر في خطوتها، هل تسرعت بقرارها؟ نظرت إلى الساعة المهملة فوق الكومود، عبس وجهها وكأن الزمن تحول لسلحفاة ساكنة بلا حراك، حتى أتى الصباح لتنزل من مخدعها وتركب أول سيارة أجرة لتقلها حيث تريد، وصلت لهدفها (مستشفى النيل للصحة النفسية)

كانت تشعر بالخوف ينتابها، تذكرت حسناتها وسيئاتها وكأنها توقن أنها في الطريق إلى الموت، رغم رؤيتها للشمس فوق رأسها إلا أن المشهد أمامها كان غريبا، فقد شعرت بأن النهار اختفى وحل الليل بسبب بتلك الغمامة السوداء التي تخيم عليها منذ تحركت من بيتها، وكأن أحدا قصد أن يخبرها بأنه يتبعها.

نفضت أفكارها وقررت الدخول للوكر الغامض، حالة صمت تعطي الأجواء، لا يوجد أحد بالمكان رغم أن المستشفى تزينا حديقة شاسعة، سمعت صوتا يحدثها

من داخل عقلها: "لا تقلقي.. لقد أخليت المكان من أجلك الجميع هنا ولكنهم نائمون، إذا شعرت بالخوف ولو للحظة سأوقظهم كي يطمئن قلبك"

شعرت بالخوف يحتل كل ذرة من جسدها، ولكنها الآن على بعد خطوات من المجهول فلا سبيل لها سوى التقدم، فالرجوع أصبح مستحيلا، جاهدت خوفها وتقدمت بضع خطوات لتجد شابا حليق الرأس يجلس على أريكة سوداء متهالكة ينظر لها ويتسّم، وقفت في مكانها مذهولة، تساءلت بداخلها من هذا؟! أيعقل أن يكون هو من يحدثني، لقد تخيلته وكأنه شيطان رجيم؟!

سمعت صوته يحدثها بداخلها: "الأفعى رغم جمالها الأخاذ تظل أفعى، المظهر ليس له علاقة بمكنون الأشخاص، ميشيل من الخارج سراجا وهاجا أما من الداخل فهو أتون من يحموم"

- ولكنني أريد أن أفهم من أنت وما معنى أنك ابن ناچيني؟ قالتها بقلق.
- ابتسم لها ابتسامة ودية وتردد صوته بداخلها: "قبل خلق البشر خلق الله الجنة والنار، خزنة النار من الملائكة وأيضا من الأفاعي، ناچيني كانت كبيرة الأفاعي في الملاء الأعلى، خلق الله آدم أبو البشر بعدها"
- تفكرت قليلا ثم قالت: وماذا حدث بعدها، وكيف عرفت كل ذلك؟
- قال: هناك أشياء لن يستوعبها عقلك الآن، علم البشر كقطرة الماء غير قابل للزيادة، دعينا لا نستبق الأحداث فلدينا وقت لأخبرك فيه كل شيء.



- لماذا تساعدني؟

- قال: لأنك تشبهينها.

- من هي؟

- قال: لن يسعني أبدا أن أصف لك جنة عدن، ولكن يمكنني أن أريك إياها، ما رأيك في قراءة ذلك الكتيب الذي بصدد نشره قريبا للبشر قبل أن تأتي النهاية الحتمية؟

نظرت له باستنكار.

- ابتسم لها ثم أكمل : قريبا ستفتح أبواب الجحيم، سيخرج الدجال الأعور ثم يأجوج ومأجوج، ثم كائنات الهوجيمو ثم ريح طيبة تخطف الأرواح الطيبة، حتى يأتي دخان أسود، حينها سيخنتق الجميع وتتحول الأرض إلى كتلة سوداء، تختفي النجوم وينصهر القمر، لتغرق الأرض في الظلام، ليحكمها من جديد بشر آخريين.

لم تفهم شيئا مما قال، ابتسم ابتسامة رجل حكيم وهو يعطيها الكتيب الأسود، فتحت وريقاته لتجد صورة قديمة له ولكنها صورة حية وكأنها شاشة تلفاز.



((الفصل الثاني))

كحبات الرمل تفرقت شتات ذكرياتها لم يعد عقلها كما كان، تحاول جمع شتاته ولكن بلا جدوى تائهة كتيه بني إسرائيل، تدور شمالا وجنوبا باحثة عن نفسها، تنظر للجميع وتتساءل من أنا؟ ولكن لا محيب.

ملابسها رثة وشكلها مزر، الجميع يهرب منها ويلقبونها بالبلهاء، يقذفها الكبار والصغار بالحجارة، فرغم ما تبقى لها من آثار لجمال قديم، فوحل الزمان يزيل عنها كل ما هو جميل، ويستبدله بما هو أقبح.

جميلة أنتِ يا صغيرتي، تاه عقلك بلمسة من إصبعي ولكنك ما زلتِ تحملين عبق من جمال الماضي، تبيتين بملابسك الرثة بين الجرذان التي لطالما فرعتِ منها بل ابتعدتِ عنها صارخة أو باكية.

أعلم أنكِ لا تستحقين ما عانيتِ، ولكنني الآن لا أستطيع التراجع ومعالجتك، فمصيرك إما الجنون ثانية، أو الموت على يدي ميتة لا رجوع بعدها، لقد أصبحت الأرض إما أنا أو أنتِ.

فقدان العائلة أمر صعب عانيته قبلك، وصرت مجنونا مخبولا يجول الطرقات في أسي، ما أجل الحياة حين نكون بلا عقل؛ فلا تفكير ولا هموم ولا خذلان، كالأنعام نأكل ونتزاوج فما أجملها من متعة.

هل لو عاد بنا الزمن وخيرنا القدير بحمل الأمانة فهل سنحملها ثانية ونخوض اختبار الحياة؟ حقيقة لا أعلم.

أراقبك يا عزيزتي عن كثب أحاول أن أحميك بقدر استطاعتي فمن يقذفك بحجر أقدفه بعشر، من يلقبك بالبلهاء أجعله مجذوبا لتوه.

أصبحت لعنتي تلاحقك، بل أصبحت ملعونة في نظر الجميع يتمنون حرقك كساحرات أوروبا في القرون الوسطى، الجميع من حولك يتساقطون حتى ظنوا أنك ملعونة فأصبح الجميع يخافون الاقتراب منك كما حدث معي بالماضي.

عزيزتي غادة سأظل على عهدي، فلا يمسنك أحد بسوء ما دمت حيا، ولكنني لم أعد أحتمل رؤيتك هكذا، سأودعك بإحدى المصححات، قبل تنفيذ خطتي في الانتقام ممن كان سببا لكل ما حدث.

انتقامي الأول وليس الأخير، فالبشر ليسوا سوى حشرات تكاثرت تكاثر هيمي ليس له معنى.

أتعلمين يا غادة لا زلت أتذكر تلك الأيام البسيطة التي جمعتنا سويا، نظراتك المشجعة لي، ابتساماتك القاتلة التي تخنني على الاقتراب من قلبك، احمرار وجنتيك الخمرية حين أسبح تائهاً في زرقة عينيك، خصلات شعرك الكستنائية التي لطالما كانت تنير مع ضوء الشمس لتعكس ضوءا يسبقها.



أتذكر همسات الكثيرين المحذرة إياكٍ بعدم الاقتراب من الفتى المذموم المنبوذ،
المسخ الدميم، أما الآن فقد اطمأنت عليك بشكل مؤقت فالانتقام أصبح وشيكاً،
انتقام بلا رحمة قتل بلا هوادة.

دم لا تشربه الأرض تبغضه كبغضكم لحم الخنزير، فإن كانت محرمة عليكم لحوم
الكلاب النجسة، فدمائكم محرم على الأرض امتصاصها.



(في مصحة الأمل للصحة النفسية بالغربية)

قد تعتبرون تلك سيرة ذاتية لي ولكنني لا أحبذ تلك التسمية، فالسيرة الذاتية يستطيع كتابتها أي شخص، ولكنني أكبر من ذلك فأنا الأوحده على وجه الأرض لا مثيل لي، إذا فلتعتبروها تراث من النور لتتعلموا منها أو قبس من شهاب ولتحرقكم أجمعين.

كنت قد مكثت بالمصحة لأكثر من خمس سنوات، أقرأ أفكار المرضى المشتتة، حاولت استخلاص سبب ولوجهم لها، فالمهدئات المعالجة لا تساعدهم البتة لذلك يلجأ الأطباء لجلسات الكهرباء، التي تنهك المرضى أكثر مما يجب.

كنت أحاول العطف عليهم، ربما لأنني لا زلت أحمل الدم البشري، أو ربما لأنهم لم يؤذوني بشيء تلك الفترة وكأنهم حملان طيبة.

ذات يوم دخل طبيب لم أعهدة يوماً بتلك المصحة، يدعى مصطفى سلامة، واقترح على مديرها طريقة علاج يستخدمها الغرب ونتيجتها فعالة، هي عبارة عن حلقة مكونة من شخصين إلى ثلاث أشخاص من المصابين بالاكئاب فقط، أو بالمعنى الأدق بأصحاب العلة الخفيفة، ويكون الطبيب حاضراً معهم ليقص كلا منهم سبب علته أمام أصحاب الأمراض الثقيلة، كمرضى البرانويا والفصام الحاد، وهكذا يتشجع الجميع، أو ربما يلفت انتباههم بأنهم ليسوا الوحيدين المنكوبين على هذه الأرض.

اختار مدير المصحة المرضى، وبالصدفة المحضة كنت أنا وغادة من المختارين للتجربة، وبدأت الحلقة باليوم الثالث من الاقتراح.

عقدت الحلقة وكأنها حلقة الرعب التي كتبها العراب (أحمد خالد توفيق) منذ سنوات عدة، الغريب أنه بعدما كانت ستقام التجربة لشخصين فقط وهما حسب ما عرفت أنا وغادة، إلا أننا كنا ما يقرب على العشرة أشخاص من بيننا ثلاث فتيات، وكانت غادة أيضا بيننا، كانت تكمن في الركن البعيد من الغرفة تجلس القرفصاء لا تعي شيئا، منطوية على نفسها ربما تسمع وربما لا ولكنها كانت مشتركة معنا باختيار الطبيب ظنا منه أنها ستتجاوب معه.

ارتدى الطبيب نظارته الطبية التي تعطيه وقارا لا يستحقه، وتعمد ألا يرتدي معطفه الطبي كي يشعرنا بأنه ليس طبيبا، وإنما شخص مثلنا يساعدنا ونساعده ثم دخل غرفة الاجتماع بالمرضي محميا إيانا، قدم اعتذارا عن التأخير الذي حدث، كان اليوم حافلا والغرفة مكتملة الأركان، نظر الطبيب إلينا واحدا واحدا ولاحظ على شفتيه ابتسامة ماكرة بلا مغزى بالنسبة إلي، ثم تكلم قائلا: أرى أن عددكم تكاثر من شاب وفتاة إلى أكثر من عشرة أشخاص، ربما مدير المستشفى أحب أن يفاجئني.

نظر إلى ركن بعيد من الغرفة حيث الستارة المغلقة، في الركن الأيسر منها، وكأنه يتأكد من شيء ما، ثم وجه نظره إلينا وما زالت الابتسامة تعتلي شفتيه، تفحص



وجوهنا جميعا، فقد كان هناك ثلاثة فتيات من بينهم عادة كما سبق وأخبرتكم، وستة رجال كنت أيضا من بينهم، كان يبدو أنهم في حالة اجتماعية متقاربة، ولكن الوجوه شاحبة وكأنها دمي وليسوا من عالم البشر، تلافي الطبيب التركيز في الوجوه اكثر مما يجب، ثم طلب منا التعريف عن أنفسنا قبل الخوض في أية مناقشة معنا.

أشار الطبيب إلى أحدنا بأن يعرف نفسه أولا، ثم يحاول إخراج ما بداخله، فنظر إلى الطبيب متسما كأنه مصدوم باختياره كأول شخص.

- قال الطبيب مبتسما: لا تقلق نحن هنا جميعا لنساعد بعضنا البعض، ولتعلم أن كل ما يقال في هذه الغرفة لن يعرفه أحد سوانا، أما عن المرض فكلنا عرضة للمرض النفسي، الحياة بالعموم مهينة للمرض، ولكننا هنا سنثبت أننا قادرون على تخطي كل ذلك، هنا سنخرج جميعا أقوى لكل منا قدرته الخاصة في تخطي آلامه.



(حكاية جاسر)

الجميع انبسطت أساريهم ينظرون إلى بعضهم البعض، إلا فتاة كانت تجلس وحيدة ناظرة في الفراغ، لقد كانت عادة..

نظر إليها الطبيب محاولاً أن يدمجها معنا ولكنها لم تلاحظ نظراته، فأشار للشباب الذي بجانبها أن يتكلم، ابتسم الشاب قليلاً ثم نظر للجميع وهم في حالة ترقب له، وأخيراً تكلم الشاب قائلاً: أنا جاسر، أبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً طيلة، حياتي لم أسمع عن كلمة تسمى السعادة أو النعيم كما يقولون، ولدت لأب وأم لم أرهما قط، بشكل أوضح أنا ابن الملجأ أو كما يطلقون علينا ابن الفراش، ابن ليلة ابن غلطة، فالمعاني السوداء كثيرة.

فتحت عيني لأول مرة لأجدني وسط مجموعة هائلة من الأطفال، كلنا في أعمار متقاربة نلهو ونلعب ولدينا حاكم في هذه الدنيا، التي تقع داخل أسوار عالية ذات أسلاك شائكة، إذا تماسست إحداهما بالأخرى تحدث شرراً تمنعنا من الخروج إلى العالم الحقيقي، كانت أحلامي تتشكل في الوجود خارج ذلك السجن، الذي يحكمه الرجل البدين ذو الشارب العريض.

كنا نصطف في طوابير يومياً، ليلقي علينا خطابات تتلخص في بضع كلمات يحفظها عن ظهر قلب: أنتم لستم سوى فئات البشر، أنتمم بالخطأ، أنتم عار على هذه الحياة.

حين تجرأت يوماً وسألته عما يحدث بالخارج، ألقاني بوابل من السباب ثم

أغمض جاسر عيناه فانهمرت منها الدموع بغزارة، والجميع مذهولين مما يسمعون
عداي أنا!

حاول الطبيب الابتسام في وجهه، ثم قال: لا عليك يا جاسر، لا تقسو على نفسك،
خذ قسطاً من الراحة ولتسمع باقي أخوتك هنا.

فكما قلت لك كلنا في هذه الدنيا نرى الكثير والكثير، لا أحد منا أفضل من الآخر،
ليس المهم كيف أتيت إلى هذا العالم، ولكن المهم ماذا تفعل ليرك العالم.

إذا كنت جئت في هذا العالم بالخطأ كما أخبرك مدير دار الأطفال، فلتعمل جاهداً
على إثبات عكس ذلك، أحياناً نتائج الخطأ تكون في صالح المجتمع.

أتعلم كان هناك امرأة ولدت أكثر من ابن مصاب بمتلازمة داون، وعندما حملت
مجدداً أرادت أن تقتل جنينها، ولكنها لم تمتلك الجرأة لذلك، وبالفعل ولدت، لو
كانت قتلتها كما أرادت، كانت ستندم حتماً لأن ذلك الجنين كان يتهوفن.

أوتعرف عليك أن تحمد الله أنك بعد مرورك بكل هذا، لم تفقد رغبتك في الحياة وفي
الخروج من غرفتك وممارسة حياتك العادية، التعب الذي يجعلك تتجنب
المناقشات الطويلة والعتاب الذي يستمر لساعات، التعب حتى من الرد على
الكلمات اللطيفة ولو برمز تعبيرى، التعب من المناقشات والمجادلات والاستماع

لوجهات النظر المختلفة، التعب من تبرير مواقفك وأفعالك ولا تملك كلمات مناسبة لوصف ما يحدث بداخلك، تتجنب الجميع بلا سبب واضح بالنسبة لهم لكنك تعرف أنك متعب من الناس ومن حولك، لا تقصد العزلة، لا تقصد أبدا أن تقول لهم أنك لم تعد ترغب في بقائهم معك، لا تقصد أبدا أن تقول لهم أنك لم تعد تحبهم، أو غيرت مكاتهم في قلبك، أنت لا تعاني من الحزن أو الاكتئاب، لا تشعر بالفقد أو الحنين لأشخاص لم يعد لهم وجود في حياتك، أنت لا تعاني من الوحدة أو شعور الغربة، أنت متعب فقط، تشعر بالتعب من أفكارك التي لا تهدأ، من قلبك الذي يتألم، من الناس والعالم... ومن نفسك .

ابتسم جاسر متحفزا من كلمات الطبيب مصطفى.

هز الطبيب رأسه مطمئنا إياه، فأكمل جاسر كلامه بعدما تجرع رشفة من الأمل؛ كانت الأيام تمضي مثل بعضها، لا يوجد عمال لنظافة الدار فقد كنا عمالا للدار، أيضا الخدمة كانت ذاتية، نحن ننظف والأكبر قليلا هم من يعدون الطعام، لن أحدثكم عن الطعام الذي كنا نأكله، فقد كان يبيت بالثلاث أيام ونأكله حامضا مجبرين عليه.

ذات يوم حاول أحد نزلاء الدار الأكبر سنا التحرش بأصغرنا سنا، ولكن أحدا لم يتصد له حتى المدير لم يشغل به بالا، صرخات الطفل كانت تقتلني، فكسرت زجاجة مشروب غازي كانت لأحد الموظفين وقتلت بها المتحرش.

وهنا بدأت التدخلات، أن يغتصب أحدهم شيء طبيعي، أن يسلب شرفنا بالداخل
لن يهمهم، كل ما يهمهم ألا يقتل أحد تحت مسؤوليتهم، خصوصا وأنهم سيسألون
عن الأعداد، أما عن الشرف والأعراض فلا شرف لنا، فنحن كما قال أبناء
العاهرات

قتلته ولم أندم قط، حتى حين ظل يضرب في ويعذبني، لم أشعر سوى بلذة الانتصار
لأنني شعرت بأني أفضلهم.

ربطني في رجل أحد المضاجع بحبل سميك كمشنقة عشوائي، معتزما أن يبلغ
عني في اليوم الذي يليه، ذهب وأوصد الغرفة علي وحدي، أظن أنه قصد أن
يربطني بذلك الحبل كي يجبرني بأني سأشنتق، ولكن شاء القدر أن يفتح باب الغرفة،
لأجد أن الطفل الذي أنقذته يحاول إخراحي من محبسي.

وجدته يمسك زجاجة مكسورة ويحاول قطع الحبل، أعاد محاولته مرارا وتكرارا
حتى نجح في قطعه، ابتسم لي ثم احتضنني وهمس في أذني قائلا: إذا استطعت أن
تخرجني وإياك من هنا فافعلها.

فكرت لدقائق فلم أجد أية فرصة للخلاص، السور وأسلاكه الشائكة المتصلة
بالكهرباء، الحراس والمشرفين.. ولكن الموت لأهون مما أنا فيه.

أخبرته بأمر السور كي لا يفكر أن يهرب عن طريقه ويموت، لقد كان صغيرا أكثر مما ينبغي !

- فكر قليلا ثم ابتسم وهمس قائلا: لم يعد السور خطرا، أنت تقول أنه يحدث شررا إذا لامس بعضه البعض، ولكنه لم يعد كذلك.. منذ يومين السماء امطرت ولا مسته الماء، ولم يحدث أي شرر لقد تمنيت أن ينقطع من الماء ولكنني كنت أبله.

- سألته: أكنت تفكر في الهروب من قبل؟

- أخبرني بأن اسمه يامن، ولكنه ليس صغيرا كما أعتقد، هو فقط مصاب بمرض التقزم لذلك يعتقدون بأنه صغير، هو في السابعة عشرة من عمره رغم ذلك يظنه الكثيرون أنه لم يتعدَ العاشرة، ولطالما حاول أن يثبت عكس ذلك ولكنهم لا يصدقونه.

علميا إن أثبت ذلك فسيخرج بعد سنة، ولكن من يهمله أمر فتى في الملجأ؟!

في تلك الليلة كان الجميع في مضاجعهم نائمين، الكل مطمئن، فلا أحد يظن أن فتى في العاشرة مثله، وفتى مثلي في الخامسة عشرة سيهربان من فوق أسلاك شائكة؟!

طلب مني أن أصعد أولاً، شككت في أمره، فأخبرني أن أحاول ألا ألمس السلك الشائك، حينما صعدت صعدا خلفي، ثم إذ به يحتضني، لامست يدي السلك فدوت الكهرباء به هو.

- بصوت مكبوت قال: لقد صعقتني الكهرباء أكمل الخطة فلا وقت لنجاتي، هذا رد لجميلك، أهرب.

قفزت أعلى السور وتلك كانت المرة الأولى التي أرى بها العالم الحقيقي، سرت في الطرقات بلا ورق وبلا هوية، لا أعرف أحداً ولا أحد يعرفني، كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحاً، اشتد البرد حتى ارتعشت أوصالي، كنت أرتمي زي الملقأ القطني؛ بنظالاً أبيضاً وقميصاً طبع عليه اسم الملقأ، إذا لاحظته أحد بالتأكيد سيعرف أنني هارب.

ظلمت في الطرق تارة أمشي، وتارة أجري بلا أي وجهة، حتى وجدت مجموعة من الناس متجمعة في مكان ما به كراسٍ كثيرة، يضحكون ويلعبون، وآخرين ممسكين هواتف محمولة كالتي كانت في أيدي مدير الدار والموظفين، كانت لها لافتة كتب عليها (قهوة دعبس).

جلست بجوارهم، فجأة دخل رجل متسائلاً: أي مشروب تحب أن أقدمه لك؟

- قلت: لا أعرف، مثلما تحب.

- ضحك، ثم نظر إلى ملابسي بريبة ثم سألتني: من أين أنت؟ فلم أجد إجابة ترددت كثيرا.
- فسألني: ما اسمك؟
- قلت: جاسر.
- فسألني: أين كنت قبل أن تأتي هنا؟

ترددت فنادي على رجل آخر يبدو عليه الوقار، كان يبدو أنه صاحب المكان ولكنه وقور أكثر مما ينبغي، سألتني؛ هل كنت في الإصلاحية؟ ورغم أن كلمة الإصلاحية ترددت على أذني مرة واحدة منذ ساعات، إلا أنني لم أكن أعرف معناها.

- قلت: لا لقد كنت في الملجأ، وصدقني لا أعرف طريقا للرجوع إليه، ولا أريد الرجوع إليه مرة أخرى.

طلب مني أن أحكي له ما حدث، فأخبرته بكل شيء عدا أنني قتلت، شكرني على شجاعتي ثم احتضنني ولم أكن جربت ذلك الإحساس من قبل.

- سألتني: هل تريد أن تعمل معنا؟
 - فأجبت: لا أعرف، ولكنني جائع، فهل يوجد طعام؟
- أخبرني أنني ضيفه لمدة ثلاث ليالٍ، سأكون ملازما لهم في هذا المقهى حتى أتعلم كيف يعملون، ثم أعمل وأكسب رزقي، لقد كان رحيما جدا علي، ولكن الرياح

دائما تأتي بما لا تشتهي السفن، فذات يوم جاءنا زيون، قدمت له مشروبا فالثاني، وظل ينظر إلي، ثم ناداني فليت ندائه، سألني؛ أنت جاسر؟

- أجبته بتردي المعتاد: نعم.

أجابني بأنه يعلم أين كنت، بل يعلم كل شيء عني منذ ولدت.

- سألته: كيف؟

أخرج من جيب بنطاله صورة رضيع أعطاني إياها، سألني، هل تعرف لمن تكون تلك الصورة؟

فطال صمتي، فابتسم لي ثم ربت على كتفي، سألته لم أجبك ولا أنت بمجيب حتى الآن، الحل الوحيد أن تكون تلك الصورة لي، ولكن لو كانت لي كما خمنت، فلماذا لم يسأل عني أحد من قبل؟!!

أهناك صدفة تجمع الأهل بابنهم عن طريق مقهى بطريق واعرة، بعد أكثر من خمسة عشرة عاما؟ لا أظن.

طلب مني أن أكمل ولكنني صمت كثيرا، عاود ابتمامته، ثم أخرج أوراقا تثبت أنه كان سجيننا قبل أكثر من خمسة عشر عاما، أخبرني أنه سيبتظرنني حتى أكمل دوام يومي ليقص علي ما حدث.

ظللت أفكر هل كان أبي؟ لكنه لا يشبهني إطلاقاً، انتهى الدوام أخيراً ووجدته ينتظرنني بسيارة، ركبت معه وظللنا صامتين حتى وصلنا إلى مطعم شرقي، طلب لي طعام لم أذقه من قبل، كنت أتأوله بنهم، لم يتناول شيئاً منه، فقط كان ينظر إلي مبتسماً كنظرة أب اشتاق إلى ابنه كثيراً، وأنا أكل حتى أتيت على كل ما على الطاولة، ثم تجشأت فضحك كثيراً على فعلتي، فضحكت أيضاً فتلك كانت عادي.

بعدها طلب كوبان من الشاي، أخرج من جيب بنطاله صورة لرجل وامرأة يشبهانني كثيراً، أخبرني أنهم والداي، تزوجا منذ وقت طويل، كانت حياتهم هادئة حتى توفيا في حادثة سيارة.

- فنظرت له ثم تساءلت: ولكن كيف نجوت من الحادثة؟
- أجب: لقد تركتك أمك مع أبيها، فطمع بشروة أبيك وألقاك بالشارع، حتى انتشلك رجل ما وأودعك في الدار.
- بكيت كثيراً، أهذا العالم الخارجي الذي حلمت بالولوج إليه؟ ربما بالداخل أرحم من الخارج، فبالداخل غابة صغيرة نستطيع فيها حماية أنفسنا ممن يشبهونا، أما بالخارج فغابة كثيفة لا ندري، لها بابا حتى آخرها لا نعرفه، سألته: من أنت؟

فأخبرني أنه من انتشلني قديماً، فعاودت سؤاله وكيف عرفت حكاية جدي؟ فأجابني بأنه رآه حين ألقاني، ولكنه خاف أن أصبح قتيلاً له، فالملجأ خيراً لي من

رجل لا قلب ولا دين له، أما حادثه أبي وأمي فقد عرفها من الأخبار بالتلفاز نظرا لرفعة شأن أبي.

امتلاً قلبي غيظا على البشر أجمعين، فكانت كلماته ساحرة بل مهونة جدا، أتريد أن تنتقم من جدك؟

- قلت: نعم.

- قال: لا، فقتله لا يجدي نفعاً هو بالفعل سيموت، ولكن الأفضل أن نأخذ أعز ما يملك؛ ثم أردف قائلاً: جدك حين استولى على مالك، تزوج من فتاة تصغره بثلاثون عاماً أي في عمر أمك حينها، وأصبح لديه أبناء، سنحرق قلبه بقتلهم أجمعين.

أحببت فكرته أكثر مما يجب فطاوعته، مر يوم والثاني حتى وجدته أمامي في محل عملي يتسم لي، اقتربت منه فأخبرني بأنه أتم الانتقام لي.

سألته حينها لما لم يتركني أفعالها بنفسه، أجب بأعرب إجابة قد أتوقعها، إذا طلبت من الشيطان أن يقتل لك شخصاً فمن القاتل؟

- قلت: الشيطان.

- قال: لا عقلك، الشيطان ربما يوسوس لك، ولكن دون إرادتك لن يفعل شيئاً، كنت أريد عقلك فقط، ولذلك فقد انتقمتم لنفسك أما أنا فكنت مجرد آلة، أوفيت حقك صغيراً وحقك حين كبرت.

سألته هل هو شيطان، فأجابني بأنه ليس شيطانا ولكنه مجيب للدعوات فقط، ينفذ ما نريد لإسعادنا، ثم مر من جانبي بسيارته ولم أره بعدها.

مرت سنة، كانت أحلامي تتلخص في ثلاث شباب من سني، أراهم كل يوم وهم يتساءلون لما قتلتنا؟! انقلبت حياتي إلى كابوس واحد، تلك الرؤيا لم تتركني، كنت أسير بين الناس فأراهم يتهامسون قائلين: ها هو القاتل.

مما جعلني أفكر؛ بما أنني أصبحت قاتلا فلماذا لا أقتل؟!

كنت أحاول كظم غيظي وإبعاد تلك الفكرة عني، حتى أنني قمت بزيارة طبيب نفسي، وأخبرته بكل شيء، أبدى تعاطفه معي، ثم أخبرني بطريقة علاج جديدة تشبه طريقه علاجك أيها الطبيب، ولكن بصورة مختلفة؛ إن من يخطئ يعاقب، من ينعتني بالقاتل يقتل، كل ذلك مقابل ثمن الكشف فقط.

كنت أمر بين الناس وكأني مراقب، أختار فقط من يزعجني فيختمني بعدها، يأخذه أحد ما لمكان ما، حتى جاء ذلك اليوم الذي علا صوتي فيه قائلا: لم أعد أريد هذه الحياة، لا أريد المزيد من الموتى، لن يقتل أحد بعد الآن، سأكون الأخير.

لقد كانت لعنة، ولكنني اكتشفت ذلك بعدما حاولت قتل نفسي بثوانٍ قليلة، غبت عن الوعي ثم وجدتني هنا، وطبيب أبله مثلك يريد أن يكرر ما فعله ذلك الطبيب، ترى هل ستقتل الآخرين مثله؟!



ابتسم مصطفى، ثم ربت على كتفه قائلاً: يبدو أنك نجوت من موت محقق، لا أعلم هل مت كما قلت سابقاً وهذه روحك، أم أنك نجوت، كل ما أعرفه، أنك ذا قدرة لا يجب الاستخفاف بها، وهذا ما أريده.

نظر الكل نحو جاسر والطبيب، حتى عادة أطالت النظر إليهما، ربما لم أفهم شيئاً، ولكنني أعلم أن الليلة ستكون مليئة بالمفاجآت، لا أظن أنه حي فوجهه الشاحب ونظرته للطبيب لا تبشران بخير.



(حكاية سعيد)

يسعدني أن أبحر بما ظل حبيسا داخلي لسنوات وسنوات، أيها الطبيب، فكل من كانوا قبلك لم يشغلوا بالهم لما أتينا من الأساس، ولكن تشغلهم التقارير اللعينة، الكل يريد أن ينجح في عمله، وأن نتظاهر بالشفاء لكي يحظى بترقية ويعلو شأنه، الكثير يخرجون هارين من العلاج بالصدمات الكهربائية، لم يستمع أحد لنا، وكأننا آلات تحتاج للعمل بالطاقة الكهربائية.

بعضنا يختلق قصص وهمية فقط للتقارير، مع ابتسامة راقية ليفرح الجميع بشفاء وإه، ولكن دائما البداية هي مربوط الفرس، وليست النهاية.

من يقول أن هناك حكاية واحدة قادتنا للجنون، بالأحرى يكون هو ذاته شخص مجنون، لسنا مجانين كما تظنون، نحن أناس قادتنا حياتنا البائسة، لهروب العقل من مساره الطبيعي إلى عالم آخر، حيث أفكار وردية سبحنا داخلها وهنثنا، حتى تأكدنا أن صراعنا في دنياكم هو الجنون ذاته، كنا نحارب على دنيا فانية، أما دنيانا الآن هي الحياة الحقيقية، كالخيط الرفيع المسمى البرزخ، إنه الرابط الوحيد بين الدنيا والآخرة.

لن أطيل عليكم ولكننا لسنا مجانين، نحن هارين، نحن مرضى نفسيين، ولكن بالخارج لا يعرفون سوى أننا مجانين، ينظرون لثيابنا الرثة ولحيتنا النامية بلا تهذيب، أليس من الجنون أن ننظر للمظاهر دون النظر للباطن!؟

كنت ذا مال وعز وجاه، فتبدل الحال من الهناء للشقاء، تلك الفتاة التي سرقتني منذ كنت طفلا في المهدي، فتحت أعيني على أعينها، خطفتني، أصبحت أسيرها، تربينا كأخ وأخت، ولكن المشاعر تنمو وتأخذ مسارها دون أن ندرك أي اتجاه تسلكه، فيا ليت ماتت قلوبنا قبلما نولد، ويا ليتنا بلا عيون، فإن العيون تفتن بهن.

من منا يجب فتاة ثرثرة تنم على صديقتها التي أخذت منها أحمر شفاه؟ أو الأخرى التي تحسدها لأن أظافرها طويلة أو عيونها كحيلة؟ نحن نحب بأعيننا، فيسحرنا إما جمال وجوههن أو سحر أجسادهن.

كانت عائلتي وعائلتها أقرب الأقربين، بالمناسبة هي ابنة عمي، اسمها من اسمي، أنا سعيد أما هي فقد اختاروا اسما يحمل معنى اسمي، اسموها هاي، كنت مسئولا عنها مسئولية تامة، لم يجرؤ أحد قط من الاقتراب منها، وأيضا لم أسلم من غيرتها، تلك الفتاة التي تحدث من في الأرض جميعا كي نكون سويا.

حين كبرنا، خسر أبي كل ما يملك في صفقة دخلها دون إجراء أي دراسة جدوى لها، كنا نسكن بجوارهم، بثيلتنا بمنطقة التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة بحكم القربى، فانتقلنا إلى حي الحسين العتيق، حياتنا انقلبت رأسا على عقب، لم أياس رغم ما كنت أعانيه من اكتئاب، كنت أقابلها بالجامعة رغم اختلاف كليتنا، كما حلمت دخلت كلية الطب، أما أنا فتحقق حلمي منذ دخولي كلية الحقوق، لأصبح مستشارا يوما ما، كانت تعاملني وكأن شيء لم يحدث.

قدنيا كانت كابنتي، لا أجعلها تدفع شيئا حتى لو كان ثمن علكة، ولكنها أصبحت تدفع لي وكأني أصبحت وليدها، لا أنكر أن هذا لم يرق لي، ولكنني كنت أرى فرحتها حين أمزح وأخبرها بأنها أُمي.

كنت أزورهم في بيتهم أحيانا، فلم تختلف مقابلة أهلها، كسابق عهدهم كنت ابنا لهم كما كنت من قبل، لم يتغير شيئا أبدا، حتى انفجرت قلوبنا الوردية شوقا إلى بعضنا البعض، حينما أنهيت دراستي الجامعية وأصبحت محاميا تحت التدريب، وانتهى حلمي بأن أصير مستشارا ذات يوم، فأنا صرت فقيرا من سيتوسط لي!

طلبت مني ذات يوم أن أقابل أبويها لأحدثهم بشأن خطوبتنا، قلت لها سمعا وطاعة، فمن الآن سنصبح وجهان لعملة واحدة، الشمس والقمر، قالت متسائلة: إذا من منا الشمس ومن القمر؟

قلت: أتعلمين أنا أرى أنك الشمس والقمر، فوجهك قمر منير، أما الشمس فهي تنبع من قلبك لتحرق من يقرب مني من الفتيات، ثم لتنير وجهك بعدها، تنظرين إلي وكأن شمسا أخرى ربما أتت من كوكب بلوتو تحترق يوميا شوقا إليك، أو لم تعلمي كم أحبك؟ حبيبي لو كنت أستطيع إهدائك السماء لما ترددت أبدا.

ابتسمت لي، ثم احتضنتني كما لم تحتضني من قبل، همست قائلة: عدني أن تظل معي إلى الأبد.

أجبتها قائلاً: نحو الخلود حيث لا مكان للظلمة، ستكونين منبع ضيائي ومصدر قوتي.

اتصل والدي وحدد موعداً مع عائلتها، كان اللقاء لطيفاً في بدايته، حتى طلبت أن أتزوجها، وانقلبت الجلسة رأساً على عقب، لم تشفع لنا القرابة بين الأسرتين، قام والدها بطردنا شر طردة، وحكم على ابنته بألا تراني.

أصبح لها سائق خاص، يذهب معها أينما تحركت وكأنه ظل لها، حتى أوهمت أباها أنها لا تأبه لي ولا لطردي، وأصبحت تراسلني على هاتفي وأبادلها الرسائل، اكتشف أباها ذلك فقام بضربها وتعذيبها، وكأنها ليست ابنته.

حقاً إن للأموال سحراً لا يمكن نكرانه، يقتل الابن أبيه، ويقتل الأب ابنته، أصبحت تبغضه مثلما كرهته أنا من قبل، ذات يوم حاولت الهرب من بين الحصار، فنالت ما لا يحمد عقباه، أكان سادياً لا أعلم ربما، ظل يعذبها حتى وقعت مغشياً عليها، واضطر أباها أن يدخلها أحد المستشفيات لتتلقى علاجها، خاصة وأن حياتها كانت على المحك.

هناك قابلت دكتوراً نفسياً ظل يتودد إليها، وثقت به وقصت عليه حكايتها وحكايتي، ذات يوم جاءني اتصال فوجدتها هي، كاد قلبي أن يخرج من بين أضلعي فرحاً، أخبرتني أن الطبيب يريد مقابلي، وبالفعل بعدها بساعتين كنت أمام الطبيب.

سألني عن جرائم القتل العمد الغير مكتملة، فأخبرته عن معظمها، ولكنه توقف عند إحداها وابتسم، سألته: لماذا؟

- قال: ألا تريد أن تحظى بحبيبتك، وتخلص جميعا من الشر؟

- سألته: كيف؟

أخبرني بأننا سنقتل عائلتها، اعترضت وقتها ولكنه أخبرني بأنها موافقة.

- قلت: كيف سنفعل ذلك؟

- قال: سندبر مقابلة لك معهم، وسيحدث ما تريد.

تعافت ها بي بعدها ببضعة أيام، وأحضر لي الطبيب "أمبولاً" صغيراً، به بعض الدماء و ثم همس قائلاً: حين تتم المقابلة ستفرغه داخل طعامهم، لقد أخبرتهم أن عليهم ادعاء موافقتهم على تلك الخطبة كي تشفى ابنتهم .

وبالفعل تمت المقابلة، وقابلني أهلها بكثير من الأسف، نادمين عما فعلا، وأنا بداخلي أعلم أنها كاذبين، طلبت منهم أن نعود لسابق عهدنا، فقد كنت أحيانا أعد لهم بعض المشويات، ولسوء حظهم ها بي لا تحب الثومية.

فصنعت الثومية التي لطالما أحبوها من صنع يدي،

ووضعت الدم بها، أو تعرفون ما كان بالأمبول لم يكن دما عاديا، كان دم حيض لا أعلم من أين أتى به الطبيب ربما من إحدى مريضاته، لا أتمنى أن يكون من هابي، فلن أقتلهم بشيء ينضح منها مهما كان.

ابتدأ الجميع بتناول الطعام، ابتسمت هابي وداعبتني قائلة: أرى أن أغير من عادتي قليلا، وأكل من تلك الثومية التي صنعتها بيدك، يا أحب من رأته عيني.

لم أستطع قول لا، نظرت إليها والدموع تتناثر من عيني، أخذ الكل يتساءل لم تبكي؟ أخبرتهم بأني لا أصدق أن تلك ستكون النهاية، حين بدأت بتناولها، طلبت منها أن تعطيني نصف لقمتها، فتقاسمتها معها، مات الجميع ولكنني لا أعلم لما ماتوا جميعا ولم أمت.

فتحت عيني فيما بعد لأجدني هنا لكن من دونها، هل ماتت وأنا صاحب الجريمة حيث لأعذب؟ أم أن روحها الطاهرة سبحت عبر المجرات تجالس الملائكة؟ وروحي مكثت في الأرض لتجالس المجرمين وأراذل الناس؟! حقيقة لا أعلم.



(حكاية بلال)

أنا القاتل أنا المظفر دائما، أنا الذراع الأيمن للخالد على هذه الأرض، حقا فهو يشبه عزازيل كثيرا، لا أعرف هل هو شيطان من ضمن الشياطين، أم أنه بشري طغت صفاته الشيطانية على صفاته الملائكية.. فمن قبض روح الأرض كان ملاكا، ولكن الأراض قديما شربت دماء الشياطين، ونحن البشر مزيج من الطين والنور والنار، مطعمة بقبس من روح الإله.

لا تفغروا أفواهكم، وسأدعكم تلقبوني بالمجنون، فأنا الذي انقلبت على ولي نعمتي حتى جنتت وقبعت هنا مع المجانين، وكأني واحد منهم، الآن أبوح بذنبي لعلي أتوب، أو أعود للخلف سنوات عدة حتى أرجع طفلا، فأحاول إصلاح ما قد أفسدته بييتي.

كنت قديما أدعى بلالا، الشاب الذي ذاق الذل من القريب قبل البعيد، مثل البعض منكم، حياتي انقلبت بعدما عرفت الحقيقة، فمن يصدق طفلا رأى أمه وأبيه على مضجعهم بصحبة رجل وامرأة آخرين؟ تلك ظاهرة منتشرة، قد لا يعلم عنها الكثيرين منكم، وتسمى بالتبادل، لا سيما أن هناك أعمال مشينة أكثر من ذلك، كمضاجعة الأخوات والآباء والأمهات فيما بينهم، لا تفزعوا، لا أنتظر منكم التصديق أيها الحمقى، لا عليكم، سأكمل لكم

حين رأيتهم ظللت مثلكم، فاغرا فاهي أنظر لهم مشدوها بما أرى، العجيب أنهم تفاجئوا بوجودي، ولكن لم يغضبوا، ولم أشعر بأي شيء بعدها، أدخلوني لأرى!

أرى المزيد من الفجور وربما الديانة، فالديوث حتى لا يشم ريح الجنة، جعلوني أنظر وكأني واحد منهم، كنت في الرابعة عشرة وقتها، كما تخيلتم كنت قد أتممت سن البلوغ، كنت بالغاً لأشعر بالإثارة مما أرى، ولكن أثار على من! أمي؟!!

رأيت الفرحة في أعينهم وهي تطالعاني من أسفل إلى أعلى، كسروا شوكتي حين أدخلوني إلى عالمهم القدر، مجرد إثارتي جعلتني أخطو أولى خطواتي إلى الجحيم، حيث ابتعدت عني الجنة كابتعاد الشمس عن كوكب بلوتو.

انتهت الليلة، وطالت الليالي وهم منغرسون في الضلال، ففي النهار يظل أبي الرجل الصارم، صاحب الكلمة الذي يبجله الكثيرين ويحسبون له ألف حساب، وبالليل يتحول صاحب الكلمة إلى الكهنة المازوشية، نعم لقد سمعتموها جيداً، أبي كان شاذاً بكل ما تحمله الكلمة من معاني، من المازوشية للسادية للنكروفيلا للواط، آه يا قلبي لا تحزن!

لقد كان يحمل جميع أنواع الشذوذ بين جنبات جسده، لقد كان باحثاً عن المتعة، لا أظن أنه يحمل في هرموناته مرض عضوي، فلقد كان مخبولاً، كان يستمتع بضرب أمي له، تلك السيدة الرقيقة كما كنت أعتقد، أصبحت على يده امرأة سادية، تستمتع بضربها إياه، بل كانت تضربني معه وكأنني مشترك في حلبة المصارعة، ولكنني كنت

في معظم الأحيان أكتفي بالمشاهدة، لا أقرب ولا أبتعد، راغبا في متعة حيوانية من إناث أقل ما يقال عنهن أمنهن حيوانات بشرية، أليس المنحدرين من آدم نشئوا من امتزاج حيوان منوي ببويضة؟ كانوا حيوانات لم تتشكل بعد لبشر.

كبرت وفطنت بأنهم ملعونون، وأني أشاركهم تلك اللعنة، قررت أن أثور، خفت من الانغماس معهم رغم علمي بأني أحمل لعنتهم، قررت الخلاص من نفسي وتخليص البشر منهم، قررت حرق أجسادنا النجسة المفعمة بروح عزازيل، ولكن شاء القدر ألا أموت، وبفضل جار لنا يدعى ميشيل رافع طيب نفسي، كسر باب الشقة حين اشتعلت، تركهم يستغيثون وأخذني إلى بيته وأنا أختنق، ثم طلب المطافئ بعدما تأكد من تفحهمهم.

لم أكن أعلم لماذا أنقذني ولماذا تركهم، ولكنه فاجأني يوما حين أخبرني بحقيقة مرضهم، كانت كلماته تخبرني بأنه مريض مرضا ما، ربما معقد أو مكتئب حقيقة لا أعلم، ولكن كلماته دائما كانت تحمل جملة أحفظها عن ظهر قلب؛ لا بد للوباء أن يقتلع من جذوره، لا بد وأن تنتهي تلك المهازل، إلى متى سيظل هؤلاء الموبوئين في كوكبنا، حتى يصاب الآخرون مثلهم؟!

- سألته عن قوم لوط وعمما كانوا يفعلون، لماذا لم يعالجهم الله؟ نحن الآن مجبرين على التعايش مع ما يسمى المثليين، لماذا لم يعالجهم الله بدلا من أن يهلكهم؟

- فقال أن قوم لوط كانوا كالوباء، والوباء علاجه الحرق حتى لا ينتشر، أول من فعل تلك الفعلة من قوم لوط كان رجلا يريد أن يمسك بذلة على جار له، فاعتدى عليه جنسيا، وأعجبه الأمر فأخبر به صديقا له، بعدها انتشر الخبر بمدينتهما، فاستلذوا تلك الفعلة الجديدة، حتى أنها أصبحت عندهم كالأكل والشرب، باتا يفعلونها في الشارع، وفي بيوت الندوة، بل أصبحوا يخرجون خارج حدود مدينتهم في غارات على مدن أخرى، ليغتصبوا الباقين من المدن المجاورة، أي فساد وغفلة كانوا بها، لقد كان يجب إحراقهم عن بكرة أبيهم، وفعلا هذا ما كانوا يستحقونه.

- سألته ذات يوم لما تكرههم إلى هذا الحد؟

ضحك ضحكا هيسيريا، ثم أدخلني غرفة خشبية، لم تكن ظاهرة من الخارج، أظن أنها غرفة سرية، كانت أرضيتها تؤدي إلى سرداب، أدخلني ذلك السرداب فوجدتني داخل غرفة، حجمها كحجم شقة مثل شقتنا، ولكن ارتفاعها لم يتعد المترين، ذهلت من الإضاءة المختلفة فقد كانت كمتحف أوروبي، حيث وجدت تماثيل في البداية ظننت أنها بشرية، ولكنها لم تكن كذلك.

الملمس كان بشريا، وكنت أظنه برع في نحته، حتى أخبرني فيما بعد أن ظني الأول صحيح.

- حين سألته لما لا يعرضها على الملائكة ليحني الآلاف من فنه؟

- فأجابني أنها أجساد حقيقية منحطة بالطريقة الفرعونية.
- سألته كيف فعلت ذلك؟ فحسب علمي لا أحد من العلماء حتى الآن استطاع أن يكتشف فن التحنيط الفرعوني.

ابتعد عني ثم اقترب من إحدى المكتبات التي بالغرفة، وأخرج مخطوطات صفراء يبدو أنها قديمة، وريقاتها كانت مصفرة وسميكة أكثر مما ينبغي، نظر إليها ثم إلي، ثم همس قائلاً: لم أكن أتوقع يوماً أن أعرف سر التحنيط الفرعوني، ولكن ذات يوم كنت أملك بيتاً في الأقصر، كنت لا أنام بالأيام في ذلك البيت، ولا أشعر بحاجتي للنوم، وحين أخرج منه أقع أرضاً، وحينها يعيدونني إلى بيتي مرة أخرى أستفيق في ثوان، وكأن شيئاً لم يكن.

علم الشيخ عبد العظيم الهالالي ما يحدث، وذات يوم وجدت من يطرق باب البيت، كانت هناك أصوات تحذرنني من فتح الباب، فتحت الباب رغماً عني، وكان قوى أخرى أجبرتنني على فتحه، رأيت نورا يقتحم قلبي حتى أغشي علي.

كان أول يوم أنام فيه في هذا البيت، حين أفقت وجدته يجلس بجانبني ومعه برديات فرعونية، تعد كنزاً أو ربما أعظم اكتشاف في العصر الحديث، منها تلك الوريقة سر تحنيط ملوك وأنصاف آلهة الفراعنة، كما كانوا يظنون، سألته عن قله نومي.

فقال أن من يسكن ذلك البيت كان عليه ألا ينام لسببين؛ أولهما حتى يفكر كثيراً فيستخرج الكنز، الثاني أن يظل قلبه يعمل، وذلك ليثبت للحراس بأن المحنطين

جميعهم لا زالوا أحياء، وليخبرونا بأنهم عائدون يوما ما، أخذت كنتري ومن وقتها وأنا هنا، حملت رسالة التخلص من البشر العائمين في الأمراض التي لا علاج لها، أباك وامك كانا شديدي المرض، فتركتك لتحرقها مثلما تمنيت أنت.

وجئت بك لأنك لم يمسسك مرض، قوم لوط حين استمروا في طغيانهم أبادهم القدير جميعا، ثم أردف قائلا: أتعرف كيف أحنط الموتى؟

- أجبته بلا.
 - فأخبرني بأنه يستخرج كل أعضاء الموتى قبل موتهم، أي حين يحتضرون، ثم يضع البعض بالثلاجة، أما الباقي فيكون هناك مرضى ولكن بأمراض عضوية، يجدد لهم أجسادهم بأعضاء هؤلاء.
 - سألته أليست تلك بجريمة؟
 - أخبرني بأنهم من الأساس كانوا يحييون كالأموات، ثم أخبرني عن حلم رجل يدعى هتلر، كنت قد سمعت عنه ولكنني لم أتعلم بقصته.
- هتلر كان يريد أن يحكم العالم، وذلك الحلم أتاه بعدما أقنعه أحد الصحفيين بنظرية تسمى "ما تحت البشر" هذه النظرية أتاحت له تقسيم العالم؛ النازيين والأوروبيين هم فوق البشر، أما فئة تحت البشر فتجمع الأفارقة، بما فيها نحن أصحاب البشرة الخمرية والمثليين جنسيا، ومصابي متلازمة داون.

كرهت هتلر بيني وبين نفسي، أظن أنه شعر بذلك، فابتسم لي وقال: سنتابع خطته، ولكن على المثليين فقط، هم وباء لا بد من تطهيره، لقد تم تطهيره منذ آلاف السنين، ولكنهم عادوا من جديد.

أصبحت الطعم الذي يجلب المرضى، بعدما وضع جثة تشبهني في موقع جثث أبي وأمي، لتتوهم الشرطة بأني لم أنج معها في حادث حريق المنزل، ذات يوم قابلت أحد المثليين، وكان تعارفنا على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، كنت مترددا هل يفعلها معي أم لا؟ أدخلته شقتي، كان مترددا.

- سألته: ما بك؟ ألم تفعل ذلك من قبل؟

- قال: لا، ثم نظر إلي نظرة مطولة واستطرد قائلاً: حين فعلتها قديماً كان رغماً عني، لقد اغتصبني شخصاً ما، أحب أن يقول شيئاً ثم صمت قليلاً ناظراً إلى الفراغ.. وأكمل لن يهملك أن تعرف قصتي، ولكن لا بد أن تعرف أنني في صراع نفسي منذ سنوات، لا أعرف لماذا اليوم بالتحديد ضعفت حواسي، وقررت خوض تلك الرذيلة، تبا دعني وشأني فلن أفعلها ثانية.

فجأة دخل الرجل ومعه سكيناً يريد قتله مثلما يفعل، فوقفت أمامه محاولاً حماية الفتى، ضرب ضربته فانغرست في عنقي، قالها بلال ولم يكمل كلامه، يبدو أنه لن



يستطيع أن يقص باقي حكايته، كان الجميع ينظر إلى بلال مصدوما، حتى أنا لم أكن أتوقع أن حكايته مأساوية إلى هذا الحد.



((الكفيف))

رفع أحدهم يده بابتسامة أمل، أظن أنه أكثر الجالسين طلبا للشفاء، فأذن الطبيب له بالتحدث، نظر إلينا جميعا ثم تنهد وعاود ابتسامته، سأخبركم من أنا، فربما أنا أكثركم فرحا بهذه الجلسة، ولكنني لا أريد أن يعرف أحد اسمي، فكما في سجلات الدولة ذكر أنني ميت، أريد أن أظل بالنسبة لهم ميتا.

ربما إن شعرت بأني أصبحت منسيا، فقد تنسى الأرض ما فعلت، يوما ما.. منذ ثلاثين عاما كنت أحتاج العلاج، ولكن لم يشعر بي أحد، حتى أبي وأمي لم يشعروا بما أشعر، ربما تعبنا أشد التعب معي، فأنا ولدت كفيفا، أتعرفون معنى أن يولد شخص بهذه العاهة؟ أن يحتاج رعاية كاملة؟

حتى قضاء حوائجه في الخلاء لا يتقنها، كنت أسمع كلمات الآخرين المستهزئة عني، وهم يدعونني بالشيخ صابر الكفيف، رغم أن سني وقتها لم يتعد العشرة أعوام.

لم أكن أعلم معناها ولكن ضحكاتهم أخبرتني بالمعنى، حين طلبت من أبي أن يترك يدي ذات مرة، فانزلت فجأة داخل بلوعة للصرف الصحي في الطريق، كان أبي يصرخ كي يساعده أحد في استخراجي، حتى نجح أخيرا، وكانت ذلك أول تعامل لي من البشر، منتهى السخف والتنمر واللامبالاة.

- قاطعه الطبيب مستفهما: ولكنني أرى أنك مبصر، حتى التقارير الطبية تقول أنك حاد البصر، قوي السمع؟! فابتسم صابر وأكمل كلماته دون أن يكثر لتساؤل الطبيب: أدخلني أبي مؤسسة لتعليم المكفوفين، لو قلت لكم أنها لم تكن مؤسسة، بل كانت وكأنها الفرع الرئيسي لمعتقل أبو غريب لن تصدقوني، ضربات تأتي عن يميني وعن يساري دون أي أسباب، أظن أنهم كانوا يطبقون المثل الشهير (اضرب المربوط يخاف السائب).

ولكن كيف كانوا يظنون أن ذلك قد ينجح معنا، فكلنا مكفوفين؟

ذقت الذل والويلات مرارا، كنت أشتكي لأبي حين يأتي لزيارتي ولكنه لم يكثر، كان يدفع المصروفات ويمضي في طريقه، حتى قررت الهروب، ستساءلون حتما كيف سأفعلها وأنا كيف؟! حسنا سأجيب كل تساؤلاتكم، كان معنا فتى ليس بمكفوف، وليس بمبصر ولكنه ضعيف النظر أكثر مما ينبغي وقد ساعدني للهرب.

حينما خرجت قابلت طبيبا نفسيا، أريد أن أخبرك يا طبيبا العزيز، أنك لم تكن أول طبيب تعقد هذه الحلقة، فقد كانت فكرة طبيب آخر، ذلك الطبيب أخبرني أن أبدأ من جديد مثلما فعلت أنت، وساعدني بالفعل حتى قابلت طبيبا للرمد، وقمت بإجراء عملية وشفيت تماما، كما ترى أرى مثلكم، كانت أعيني لا أمل في شفائها، ولكن الحل أن أجد متبرعا.

وتم التبرع من مجهول، وحين أُلحيت عليه أن يخبرني من ذلك المجهول، شعرت بتوتره وعندما صممت أن أعرف، أخبرني أنه كان أبي.

أتعرف إحساسك حينما يتبرع لك أكثر شخص بغضته في حياتك بأثمن ما يملك، ولكنه وترك لي ورقة إن عرفت أنه هو يوما ما، ملخصها أنه لم يكن لي يوما أبا صالحا، وأن أستمع لكلام الطبيب مهما كلفني الأمر.

انتابنتي قشعريرة حين أخبرني الطبيب بوصية أبي، فقد كانت وصيته، أن أتبرع بأعضاء جسده للمستشفى الذي يعمل فيه الطبيب، ترددت أولا ثم استسلمت للوصية.

كانت كلمات الطبيب كالسحر، إذ أخبرني أن التضحية بأجساد الموتى لإنقاذ المرضى عمل نبيل، فلولا عيني أبي لما رأيت النور، ولكانت عيناى تسبح في الظلام حتى الآن، ولكنني غرقت في ظلام من نوع آخر، فعجز النظر شيء وظلمات القلب شيء آخر.

لقد ظللت على هذا الظلام، وأنا أظن أن عملي خيرا أجزى عليه، حتى قرر الطبيب البوح بكل شيء، سألني ذات يوم عن مفهومي عن القصاص.

أخبرته بأن العين بالعين، والسن بالسن، والرمح بالرمح.

- ابتسم ثم قال: إذا ضربك أحدهم فعليك ضربه أليس كذلك؟



- أجبته برضا تام بأن نعم.

أخرج من جيبه ورقة، دون بها بعض أسماء الذين عايروني مرة بأني كفيف، وقال:
هؤلاء اليوم سيصبحون مكفوفين النظر.

رفضت في بادئ الأمر، ولكن بعد تأثير سحره اقتنعت، حتى عائلتي ضحيت بهم،
أمي التي لم يكن لها قلب وجدتها أمامي، قررنا اقتلاع قلبها، كنت واقفا أثناء
استئصال القلب، وحين أخرجوه من جسدها لم استوعب ما حدث فوقعت أرضا
كالغشي عليه ولكنني ما زلت واعيا لما يحدث، فتكلم القلب هامسا بخوف (بسم
الله عليك).

فأمسكت مشرطا وقطعت به شريانها التاجي الموصل للقلب، حقا لقد كنت حقيرا
بما يكفي لأضحى بعائلتي.



(حكاية ياسمين)

دارت عيون مصطفى بين المرضى، فاختر من بينهم فتاة بيضاء البشرة، يبدو من ملاحظتها أنها من الطبقة الأرستقراطية، بشعرها الكستنائي، وخضرة عينيها، وملابسها المنمقة كإحدى عارضات الأزياء الشهيرات، أشار إليها بأن تقص عليهم خبرها.

نظر إليها الجميع منتظرين لها أن تحكي لهم ما أتى بها إلى هنا، وأخيرا بدأت الكلام بصوت خافت، قائلة: أنا ياسمين، في العشرين من عمري، دائما ما يؤرقني سؤال واحد منذ كنت صغيرة، هل استحق كل ما يحدث لي؟ ولماذا لا يملك الجميع القدرة على تحقيق وعودهم؟ أكانوا جميعا كاذبين، أم أنني كنت ساذجة لدرجة تصديق وعود واهية؟!

علمتني الحياة أن الكلمة عهد، وأن العهد دين والدين لا يوفيه أي رجل، لماذا على أن أسامح العديد من المرات ليعيدوا نفس الغلطة، وفي كل مرة أعود بابتسامتي وأغفر؟ لماذا يختارونني أنا بالتحديد ليحتالوا علي بغراميات كاذبة؟

لم يكن طموحي أبدا حب رجل، لم أكن أنتوي أبدا خوض تلك التجربة للمرة الثانية، هل أخطأت حين سلمت قلبي لمن لا يرحم؟

لطالما أخبرتني أمي وأنا في الخامسة من عمري قائلة؛ إذا جاءك غريب وأخبرك أنه سيعطيك الحلوى، لا تذهبي معه يا صغيرتي، فهو سيأخذك من بين أحضاني، سيحزنك، سيبيك، ستسسين نفسك، وتدخلين في دائرة من البكاء لن تخرجي منها أبدا.

الآن أيقنت أنه كان ذلك الغريب الذي أخبرتني عنه أمي، ولكنني لست ضعيفة إلى هذا الحد الذي يجعلني أظل باكية مفطورة القلب لسنوات، من أجل رجل خدعني وسار في طريقه غير مبال، بل دمر حياتي وأخذ في طريقه كل شيء، أخذ الأخضر واليابس، ليتركني في صحراء جرداء أوارى ضعفي، وكأنني خيمة في مهب الريح تناثرت أوتادها وتد وراء وتد، أو كشجرة في مهب الريح تكسرت أغصانها، وتطايرت أوراقها، وكان حولها حية فدنست ظلها فلم يعد لها فائدة، وصمتها بالموت حتى لا يقترب منها أحد.

ليواصل خطفه اللامتناهية في خداع إحداهن كما خدعني، فأنا انتظر يوما سيأتيني فيه راكعا، يطلب المغفرة، ولكنني وقتها لن أبالي بشخص دمى القلب خالي المشاعر مثله، ولكن لم يجيبني أحد على ذلك السؤال أبدا، ودخلت قائمة من اللعنات والمآسي، وقلت لن أبالي بكل ما حدث، غدا سيكون أفضل، ولكن الغد الأفضل لم يأت.

النفق المظلم لم ينته بعد، والشمس خرجت من مغربها ولن تأتي أبدا، قيامتي أتت وأصبحت داخل قبر مقفر لا مفر منه ولا هرب.

صمتت ياسمين قليلا، والجميع ينظرون إليها غير مستوعبين ما تقول، يبدو أنها مشتتة نوعا ما، الجميع يريدون إشباع فضولهم ومعرفة ما حدث لها.

بعد دقيقة صمت أكملت؛ حكايتي ستتعجبون لها أشد العجب، حكايتي سنشددونها ولسوف تدرس في كلية الحقوق، ليتعلم الحمقى كيف أن القانون لا يحمي المغفلين، وأن عليهم أن يفرقوا بين العدل والحق.

كنت في الحادية عشر حين سمعت همهمات في غرفة أمي، رغم أنها تبيت وحدها لسفر أبي، ظننت أن أبي قد عاد، شعرت بفرحة كأى طفلة، فعودة أبي تعني هدية ذات قيمة، ربما فستان جديد أو عروسة، ولكنني حين اقتربت من غرفتها سمعتها تضحك بغنج، تتأوه وتصرخ وكأنها في حلبة قتال، سمعتها تقول يكفي يا صلاح، صلاح!

لم يكن أبي اسمه صلاح، إن صلاح هذا هو السائق، أيعقل أن يكون صلاحا يضرب أمي؟!

فتحت الباب على مصراعيه لأنقذ أمي، فقد اعتقدت أن طفلة في الحادية عشرة قد تستطيع إنقاذ أمها من رجل عملاق، كان المنظر رهيبا، فقد كانا يحتضان بعضهما البعض، ولكنها دون ملابس، كانوا عرايا تمام!

كانا منسجمين تماما حتى أنهما لم يرياني، وكأني طيف أمر وأمضي حيثما شئت، ولكن الله كان بالمرصاد، فتلك الليلة عاد أبي على غير عادته، لقد سمعت صوته وهو يفتح مزلاج البيت، ارتيمت بين أحضانه أبكي، فاحتضني بقلق، ثم سألني لماذا تبكين ءأذتك أمك في غيابي؟

وضعت يدي على فمه وهمست قائلة: اخفض صوتك، أمي لم تؤذني قط، ولكنها الآن تؤذيك أنت، إنها بالأعلى تفعل شيئا بشعا مع السائق، لا تستعجبون فأنا كنت في الحادية عشرة، لست كبيرة كما ينبغي، ولكن التلفاز فتح أعيننا حين عرفنا منه كيف تتم العلاقات الحميمة، لعنة التقدم شوهت عقولنا مثلما قتلت براءتنا.

أنزلني أبي من بين يديه، وطلب مني أن أذهب إلى غرفتي دون أن أحدث أي صوت، ثم فتح حقيبته وأخرج منها هاتفه، صعد إليهما بالأعلى حيث مسرح الجريمة، وصعدت خلفه وتواريت كي لا يراني.

دخل عليهم الغرفة فلم يشعروا به، ظل واقفا لدقائق معدودة يصور ما يحدث، حتى سمعت صوت أمي تصرخ عاليا، أخرج أبي مسدسا من جيبه، تكلم بصوت عالٍ لم أعهده منه قبلا، أيها الأنجاس تفعلونها في مضجعي؟ هل تريدون فضيحة

علنية على الفضائيات المصرية؟ أم نقول قتل الزوج زوجته وسائقه بعدما وجدها بين أحضانها؟

أرى أنكما صامتان، ربما الصدفة قطعت ألسنتكما، أنتما بالطبع لا تريدان الفضيحة ولا تريدان الموت، تريدان أن أغفر وأصفح عنكما، أتتخيلان أني كالحروف بلا أي إحساس؟

أنا مثلكما لن أفصح نفسي، ولن أضيع ولو ثانية من عمري في السجن بسبب عاهرة، ولكنني أيضا لن أترككما أحرارا، لقد حرمتك على نفسي كتحریم الأخت والأم، بالنسبة لابنتك لن تريها ثانية، وستمضين على وثيقة تنازل عن حضانتها ما دمت حية، حتى وإن مت ستكون حضانتها لأقرب حي من عائلتي، أما أنت فالسجن حلال عليك، حينما تمضي على وصل أمانة الآن.

وهكذا وافقت أمي على تركي بدلا من قتلها، تلك كانت أقل الخسائر، فلو كنت مكانها، لتنازلت عن اثني عشرة من الفتيات لا فتاة واحدة، أما بعد فقد أصبحت الحياة سيئة بشكل كبير، لقد أصبح أبي سكيما ملازما للبيت لا يخرج أبدا، حتى شركته أصبح يديرها من المنزل، فقد ترك إدارتها لنائبه، بالنهار كان دائما نائم وفي الليل ساهر.

أهملني بشكل ملحوظ حتى ظننت أنه نسي هيئتي، عاودت أمي الاتصال بي، لقد اشتقت لها كثيرا، سألتني إن كان أبي تكلم عنها أمامي، فأنكرت اني أعلم ما فعلته،

فمهما حدث منها ستظل أمي، كانت تذهب أينما ذهبت لكي تراني فقط، ذات يوم قابلتني وأخبرتني أن أبي قد فضحها في البلد أجمع، الفيديو انتشر والجميع شاهدوه، ولم يعد لها مكان هنا أبداً.

اعترفت أمامي بخطئها دون أن تمس أبي بسوء، رغم أنه أخل بوعده ونشر الفيديو، سألتني ذات يوم لو خيرت بينها وبين أبي في حال سفرها، فهل سأختار أبي أم هي؟ فوقع الاختيار عليها.

سافرنا لبلد عربي حيث ساعدها قريب لها بالعمل في شركة كبرى، ولكن كان أبي لها بالمرصاد، تتبع خطواتنا، لا أعلم هل كان يفعل ذلك ليرجعني إليه، أم أنه كان يكرر موج انتقامه؟! وصل إلى صاحب الشركة نفس الفيديو الذي هربت منه داخل بلدنا، فقام بطردها، بل استطاع صاحب الشركة أن يرحلها خارج البلاد، رجعنا إلى بلدنا مصدومين، أعلم أنها كانت خاطئة، ولكن المخطئ إن تاب أليس له غفران؟!

لقد أخطأت مرة وحاسبها المجتمع ألف مرة، التائبة أصبحت عاهرة بعد فضحها هنا وبالحارج، لقد صدقت أنها عاهرة، وهنا كانت اللحظة التي قررت فيها أن تبع جسدها بالمقابل الذي يرضيها، فقط لكي تثبت لهم ما قالوه عنها وبأنها عاهرة، كنت معها دائماً، كانت بالصباح نائمة أما بالليل فتقع سكية في شقة أحدهم، يتلذذها وتتلذذ هي بنقوده، مرت سنة فأخرى وأصبحت فتاة إلى حد ما راشدة،

لكي أدرك أني ابنة العاهرة، والعرق دساس، وبالتأكيد من يجيني سيحبنى لسبب واحد، ليشبع رغبته فقط من التهام جسدي.

يُست من كثرة التفكير، حتى باعت جسدي مثلما باعت جسدها، يوم فالتالي كنت أكره نفسي مما أفعله، سأخبركم شيئاً قد يروق لكم؛ ذات يوم كنت على كوبري قصر النيل، في الثالثة صباحاً، أتراقص وأنا أسمع الأغنيات المنبثة من سماعه أذني، وفي يدي زجاجة خمر، وقفت على حافة الكوبري وألقيت بنفسي في النهر، علني أغتسل من العار، علني أدخل الجحيم فيطهرني من الخطايا، ولكن وجدت أحدهم يخرجني من الماء فاستسلمت له، غفوت على راحة يده، لا أعرف هل نمت لدقيقة أم لسنوات، حين فتحت عيني وجدتني في غرفة بيضاء، ووجدت طبيباً ينظر إلي مبتسماً.

- سألته: أين أنا؟
- قال وهو مبتسم: بالتأكيد لم تدخل الجنة، بالأمس وجدتك تحاولين قتل نفسك.
- حاولت التكلم، فقاطعني قائلاً: عموماً لا تخافي، لقد أنقذتك من الغرق، ولكنك صغيرة أكثر مما ينبغي لتموتي، أدخلتك المستشفى الخاصة بي، وأحمد الله أنك أصبحت بخير، ثم استطرد قائلاً: أنا دكتور نادر، طبيب نفسي، وأود أن أساعدك لكي نمر سوياً من هذه الأزمة التي كادت تودي

بحياتك، ابتسم ثانية، ثم هم واقفا بعدما قال: كل مر سيمر.. الآن
استريحي وغدا سنبدأ كلامنا.

في اليوم التالي دخل بابتسامته المعهودة، وسألني عن أحوالي، استرحت له فقصصت
عليه كل شيء، حتى ما أخفيته يوما داخل سراديب عقلي.

- سألني: هل تريد الانتقام ممن دنس شرفك وشرف أمك؟

- قلت: لا.. فبالرغم من كرهني لأبي لم أفكر يوما بأن أنتقم منه.

أخبرني أنه درس الطب النفسي بالخارج، وكان مشروع تخرجه أن يحقق العدالة، بأن
ينتقم للمظلوم من الظالم حتى يعود كما كان.

بالمساء كنت قد اتصلت بأمي فأتت، وخرجنا سويا، حكيت لها عما حدث، وكان
يبدو أن الفكرة قد راققتها، اتصلت بالطبيب وشكرته مرة أخرى على إنقاذي، ودعته
لتناول العشاء في بيتنا.

تكررت الدعوات، وكان الطبيب دائما ينظر إلي بحنو لم أعهده من قبل، أحببته رغما
عني وظننت أنه يحبني، كنا نخرج كثيرا أنا وهو، نتجرع كأس الحب، غفر لي
خطاياي، شعرت وكأنه أخ لم أرزق به، أو ربما أب لم أشعر بوجوده قط.

ذات يوم فاتحني في الزواج فوافقت على الفور، طلب مني أن يتصل بأبي فترددت،
ولكنه أصر، أعطيته التفاصيل وعنوان بيتنا القديم، لكنه اختفى فترة ليست

بالقليلة، ظللت أبحث عنه ولم أجده، حتى اضطررت لمقابلة أبي كي أسأله هل قابله، هل رفضه، ولكن أبي رفض أن يقابلني.

مر شهر كامل وأنا أبحث، حتى جاءني رسالة على الواتساب من رقم لا أعرفه، حين فتحتها وجدت فيديو لأبي وهو يقتله، لم استوعب ما حدث، لماذا قتله؟! أكان يستحق أن يقتل بعدما أنقذ حياتي؟!!

كنت مشتتة لا أعلم ماذا أفعل، ظللت أشاهد الفيديو عشرات المرات ولا أعرف السبب، حتى أمي شاهدته معي، بقيت صامته شاردة في غرفتي المظلمة، حتى تذكرت مشروع تخرجه وهو رجوع الحق للمظلوم، لا بد من قتل الظالم، لا بد من تطهير العالم منه.

أعددت العدة لدخول فيلا أبي، وجدت أمي ملقاة على باب فيلته وقد تلقت طلقة في قلبها، قالت وهي تنازع الموت: لا تفعلي شيئاً ربما تندمين عليه، سألتها أي شيء تقصدين؟ ولكنها لم تجبني فقد سلمت روحها.

وجدته جالسا يجتسي القهوة وأمامه حاسوبه، ولا كأنه قد أضع حياتي، تسللت من وراء ظهره وطعنته بالسكين في عنقه، ووقفت أشاهده حتى فاضت روحه إلى قاع جهنم، نظرت إلى حاسوبه، فوجدت رسالة مبعوثة من حسابه إلى حسابه، كلماته كانت كالتالي؛ صغيرتي منذ زمن بعيد، بعدما هربت مع أمك وأنا أحاول إبعادك عني، سأخبرك عما حدث، لأنني أعرف أن ساعاتي قد انتهت، لا تقتربي من الطبيب

إنه سر لعنتي، بعدما صورت أمك وهي مع عشيقها، أصبحت غير قادرٍ على المضي قدما للغد، تابعت مع طبيب يدعى نادر، كان مشروع تخرجه هو الانتقام من الظالم لكي يرضي مرضاه ويشفي علتهم.

حين عرف ما حدث لي طلب مني شريط الفيديو، كنت ساذجا فأعطيته إياه، نشره حتى تم فضح أمك، سفرك مع أمك كان بترتيب مني، لقد اتصلت بقريب لها بالخارج وأخبرته بكل شيء، ولكن الطبيب كان لكم بالمرصاد، لم أكن أريد لك الوقوع في مستنقع الرذيلة، مثلما وقعت أمك رغما عنها، ولكنك وقعت.

• منذ فترة قريبة اتصل بي الطبيب، وأخبرني أنني سأقتل على يدك، لذلك لم أوافق على زيارتك، خوفا عليك من أن تقتليني فتصبحين قاتلة لأبيك، وتدنس روحك إلى الأبد.

عزيزتي.. إن ذلك الطبيب آلة شر متنقلة فلا تتبعيه، واعلمي أنني لم أحب سواك طوال حياتي.

أبيك المحب.

لم أفكر وقتها بشيء، فقط أمسكت ذات السكين التي قتلته بها، ورشقتها في قلبي، ولكن لا أعرف ماذا حدث بعدما كنت أنتظر الموت ووجدتني معكم!



(الموت الأسود)

كان الصمت مخيبا على أرجاء العنبر، رفع أحدهم يده ليبوح عن علته، رغم البلاهة وعدم الاكتراث البادي على وجهه، إلا أن ملامحه حادة، بشرته حنطية وجسده رفيع، وأعينه واسعتين ذات نظرة مشتتة، تنحح ثم قال: ماذا تفعلون إذا عرفتم أنه لم يتبق على وفاتكم سوى أيام قلائل؟ هل ستدفنون رؤوسكم في الرمل كما يفعل النعام؟ أم تلجؤون للقدير كي يغفر خطاياكم؟

البعض منكم سيحاول اللجوء للقدير، ولكنكم بداخلكم تعرفون أنكم كاذبون، تلجؤون له فقط كي يمحي خطاياكم قبل أن تخلدوا في نار الجحيم، كالمساجد حين تعج بالمصلين في أواخر أيام الدراسة، هي حياتكم دراسة مطولة تستعدون فيها جيدا لحفل الشواء، لكنني لم أفعل ذلك لقد كنت دائما صادقا مع نفسي، أعرف أنني من الخالدين فيها، ربما لدي قصور باسمي، خلقت قبل آلاف السنين من ميلادي، لا تغفروا أفواهكم هكذا فلست كما تظنون، أنا لست شيطانا ولكنني أقوى، أخبرنا أحدكم أن الإنسان هو تكوين من النور والطين والدم، فلما ننتظر وسوسة أحدهم ما دمننا سندخلها أجمعين، فلما لا نكون شياطين أنفسنا!

لما لا نعبث بالحياة، ونأخذ معنا من نحب في الجحيم كي نشتم رائحة جلودهم وهي تحترق، وتمترج رائحتها مع عفن جلودنا؟!

دعوني لا أطيل في المقدمة فالحدث كان جللا، وحجزت مقعدي الخالد في الدرك الأسفل منها! فأهلا بالهاوية ويا مرحبا بشجرة الزقوم.

سأعرفكم بنفسي؛ أنا محب نعم هذا إسمي وربما كان طبعي يوما ما، قبل تحولي لما أصبحت عليه، بليت بحب من حولي، ولكن المحب دائما ما يجد الخذلان، كانت حياتي تسير على نحو جيد، حتى طمع أحدهم بأكل مؤخرة خفاش على بعض من الفاصوليا الحامضة، ليظهر وباء من نوع جديد، طاعون العصر الحديث.

تلقيه مئات الآلاف وضرب بأعناقهم، وكأنه المسيح الدجال أتى ليحصد الأرواح على غفلة منهم، شعرنا بأن القيامة آتية لا محالة، أصبح الناس يهتفون ثائرين ضد المرض، وكأنه جيش محتل عليهم يقهرونه، كانت الأيام تسير برتابة حتى حدث ما لم يكن بالحسبان.

أصيب صديقي الصدوق بالفيروس، ولأنني من أقرب المخالطين، تلقى صدري الفيروس كما يتلقى الحمل الوديع سهم الصياد، لم أجد حينها أي من مستشفيات الدولة لتنجدي مما أصبحت عليه، فاتصلت بزوجتي وأخبرتها بأني أصبت، وأن عليها الفرار هي وابتينا كي لا يصيبهن ضرر، ولكن دائما ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، رفضت زوجتي الخروج من بيتنا وأخبرتني أن علي البحث عن مكان آخر للمكوث فيه، ولكن إلى أين؟

أوماً الطيب رأسه ليكمل حكايته، فأكمل قائلاً: لم تكن زوجتي فقط، بل كانت ابنتي التي تربت على يدي هي ابنة خالتي، كنت أول ما رأت أعينها، كنت أكبرها بعشر سنوات ولكنني أول من قالت له أبي، أول من حملها، ذات يوم جاءتني باكياً في الثانية ظهراً بعد يومها الدراسي، فسألته عن سبب بكائها لتخبرني بأن مدرسا من المدرسين حاول التحرش بها، لم أسألها عن شيء، فأحدهم يحاول العبث مع حبيتي، بل ابنتي فأهلاً به في الجحيم.

سألت عن ذلك المدرس حتى عرفت كل شيء عنه، تسللت إلى بيته في منتصف الليل، ودون أن أحاول السماع له فصلت رأسه عن عنقه، وفي ظرف يومين كان الجميع يتحدث عن المدرس الذي اكتشفوا مقتله في شقته دون معرفة القاتل.

لقد عرفت تيممة أنني الفاعل، ولكنها لم تتحدث معي عن الأمر، ربما قد تجمد قلبها وصارت لامبالية، ولكنها تعلقت بي أكثر مما كانت عليه، فقد كانت تيممة الشؤم لي.

مرت السنوات وتزوجنا، أنجبنا ابنتينا آيلا وعشق، ولكنني فوجئت بإصابتي بالفيروس لأجد خذلان لم يعهده أحد، فبعدهما رفضت ترك شقتنا، اتصلت بشاكر أخيها ليقنعها بالخروج، انصاعت لأمره، نعم شعرت بالتهميش وكأنني لست المسؤول عنها المؤوي لها، الأغرب كان اتصال أخيها يحدثني بنبرة الأمر النهائي، أخبرني بأن علي الانفصال عنها بلا رجوع فقد أصبحت موبوءاً.

وا حسرتاه في طرفة عين وانتباهتها خسرت كل ما أملكه، زادي وعزوتي، ابتنان وزوجة هما قرّة عيني، هما نور بصري.

ركضت.. سقطت.. وقفت.. سقطت.. عافرت وزحفت، حتى وصلت لمكان سكني، رأيت الجميع يهرب من أمامي، جريت معهم ظنا مني أن هناك مكروه حدث لأحدهم، ولكنني عرفت في النهاية أنهم يهربون مني، لقد أخبرتهم زوجتي بأنني مصاب.

ظللت مرابطا في بيتي أحاول الاتصال مرارا، فلم أكن أتخيل العيش بدونهن، أصبحت نهايتي وشيكة ولن أراهن حتى قبل موتي، بعد عشرة أيام أو يزيدون، اتصل بي شخص لا أعرفه يدعى ميشيل عوني، أخبرني بأنه يعرفني ويعرف نبذ الجميع لي، شكوت له.. بل بكيت، فأنا لغريب أن يواسيني والقريب أول من يجافيني!

ظل يتودد لي لثلاث ليالٍ حتى وثقت به، فأخبرني بخطة لا تخطر على بال بشر، إنها حكاية الثعلب الذي قطع ذيله، وحين لاقى السخرية من أول صديق خدعه وأوهمه أنه أصبح أخف وأسرع بلا ذيل، فافتنع وقطع ذيله فتأوه، وسأله لما خدعتني؟

فأجابه قائلا: حتى لا أصبح أضحوكتك والآخرين.

وحينها لم يسلم أي ثعلب من القطيع، حتى تم قطع ذيلهم جميعا، بل أصبحت تلك طباعهم الأبدية التي لا تتبدل، وإن وجدوا ثعلبا بذيل سخروا منه ونبذوه.

فهمت ما يطلبه مني، وقلت في نفسي حقا أنهم يستحقون الموت، لن أموت وحدي، سأجعلهم يندمون، إن كانوا نبذوني بسبب علة ليس لي يد فيها، فلن أتركهم ينعمون بأية حياة، سيموت الجميع، سأنشر الوباء بينهم حتى يبذلهم القدير بقوم خير منهم.

اتصلت بأخيها وأخبرته بأني لست مصابا، وأريد زوجتي، فأبى أن يساعدي، أخبرته بأنني سأكتب عش الزوجية باسم أخته المصون، فأغلق معي بحجة التفكير في الأمر، لم يمر يومان حتى وجدتها أمام شقتي، وما إن رأيتني حتى ظلت تقبلني وكأنها تحبني، قبلتها وزدت من قبلاقي، فخطتي نجحت وأصبحت والوحش في قفص واحد.

كنت أشعر بالنشوة كلما اقتربت منها ومارست الحب معها، حتى بدأت في التقاط العدوى، بل وأصبحت تحالط الآخرين من أهلها، حتى الجيران لم يسلموا من الاختلاط بنا، أصبح الظل الأسود ينتقل من شخص لآخر، حتى أصبح الشارع منبع للوباء وكأنه وكر لتجار الموت، حتى ابنتي لم تسلمن منه، اتصلت بعائلة زوجتي وهما خالتي وزوج خالتي وأخو زوجتي، ودعوتهم لتناول طعام الغدا،

كنت أنظر لهم بود مصطنع، أحبيهم وألين في حديثي كي لا يشك أحد بي، بل وحضرت الغداء وحدي دون مساعدة زوجتي.

أعرف أنهم بدأوا يشكون بي، فرغم ما كنت فيه من الطيبة لم أكن طيبا إلى هذا الحد، حضرت المائدة وزيتها لتكون آخر غداء لهم في الدنيا، الطعام كان باردا، فلربما يكون آخر شيء بارد قد يروه، فالجحيم على الأعتاب لا تبقي ولا تذر.

- فتحت منافذ الغاز وخرجت لهم، ابتسمت لهم ابتسامة واسعة، وغلقت الأبواب وقلت: هيت لكم.

- قالوا: ماذا تعني لا نفهمك؟

- قلت لهم: أنتم أحبتي، اصطفتيكم لتؤنسوا حياتي، وأيضا لتكون صحبة في الهاوية.

ضحكوا وكأني مجنون أهذي، وتعالى ضحكاتهم، أشعلت قداحتي فانفجر المكان بنا، كنت أضحك وسط صرخاتهم الهيستيرية وهم يطوفون المكان بجنون، ومحاولين النجاة بحياتهم العفنة، ازدادت ضحكاتي حين تذكرت أن الهاوية ستكون بعثهم، فجأة ذهب كل شيء، فتحت أعيني لأجدني هنا، أحكي حكايتي لكم دون أي إحساس بالندم، هل أنا حقا على قيد الحياة؟!



(اغصاب أم)

أشار الطبيب إلى أكبر من في الجلسة، فابتسمت ابتسامة صفراء وبدأت بالتعريف عن نفسها، لكن قبلها، رددت جملة واحدة عدة مرات؛ جميعكم تستحقون الموت جميعكم، ما أنتم سوى حيوانات ليست لها قيمة، جميعكم تستحقون الموت، سأتكلم لأشبع فضولكم الأعمى، لأروي عطش قلوبكم المظلمة، أنعلمون؟ بداخلي نار أشد من أتون جهنم وقرص الشمس، سأروي عليكم قصتي الآن، ولكن سأرويها منذ زمن بعيد، منذ وقت لم أكن فيه سوى طفلة بجداول صغيرة.

أنا الطبيبة وداد، ولدت يتيمة والدي كانت دائما ترعاني، أتذكر حينما كنت في السابعة من عمري، أسير مع أمي وهي ممسكة بيدي، فجأة أغشي عليها، وكأن الأرض انشقت وابتلعت ما بها من بشر، وقفت أمامها وأنا لا أعرف كيف علي أن أتصرف لأنقذها، فأنا صغيرة أكثر مما يجب لا أعرف كيف أوقفها، حتى ظهر من العدم رجل وزوجته وولده، رغم أن هذا الرجل كان يحمل الكثير من الحقائق ولكنه لم يبالي، تركها وأسرع هو وزوجته لنجدة أمي، وبعد دقائق كان يحملها إلى المستشفى.

تركني مع زوجته وولده، ولم يمر سوى نصف ساعة حتى عاد إلينا، واقترب من زوجته هامسا لها بأن أمي أصيبت بغيوبة السكري، وأنقذوها قبل لحظات من موتها، أسرع نحوني وأمسكني من يدي وأخبر زوجته أن تذهب إلى شقتهم، وهو

سوف يتولى مهمة توصيلي ثم يعود إليهم، سرت معه ووجدته يشتري لي ألعاب كثيرة وظل يقبلني وكأني ابنته وهو والدي، رغم ألم الموقف بأكمله ولكنني كنت سعيدة للغاية كنت أستمتع بنظرات الحنان في عينيه، وبعد مرور ثلاث ساعات ذهبنا إلى والدتي مرة أخرى في المشفى، وكانت قد أفافت من غيبوبتها.

قال لها الطبيب ألا تقلق هي صارت في حالة جيدة، وقال لها أيضا تقدر على الذهاب للمنزل والخروج من المشفى، ظلت والدتي تردد عبارات الشكر لهذا الرجل، ولم يتركنا حتى أوصلنا إلى باب البيت.

انتهت حكاية هذا الرجل ولكن بالنسبة له، اختفى سنوات كثيرة كبرت بها، وبإرادة الله أصبحت بكلية الطب، وفي يوم كنت أسير أنا وصديقتي ووجدت زحاما شديدا في الشارع، قلت لها هيا لنرى ماذا يحدث، وبعد إلحاح مني وافقت وذهبنا.

وجدت نفس الرجل وزوجته، ولكن هذه المرة كانت زوجته مغشيا عليها، أسرع إليها واتصلت بالإسعاف، وبعد وقت جاءت الإسعاف وحملتني حتى المستشفى التي أتدرب بها، وهناك استفاقت وتابعت حالتها بقلب محب، ولا زال الرجل لا يعرف من أكون.

هاتفنتي والدتي وكانت قلقة علي للغاية، فأخبرتها بأني سأبيت بالعمل لمدة يومين فلدي دين يجب علي أن أفي به، بعدما استعادت الزوجة صحتها، بدأت أذكرهم

بنفسي كثيرا حتى تذكروا من أنا، طلب مني هو وزوجته رقم هاتفي وبالفعل تركته لهم ورحلت.

- بعد عدة أيام، وجدت شابا يهاتفني، فقلت له مستفسرة: من أنت؟!
- فقال: أنا كريم ابن السيدة التي أنقذتها بالأمس القريب، كنت أود مهااتفتك لكي أشكرك على ما فعلته مع والدتي.
- قلت بخجل: لا هذا واجبي، أنا من علي أن أشكركم فوالدك أنقذ أمي منذ سنوات بعيدة، وحاليا في هذا الوقت أراد الله الرحيم أن أرد هذا الدين، خاصة أن والدك دائما يزورني في أحلامي.
- كريم: أمي تدعوكِ ووالدتك للغداء في أي وقت تحددين، ها هو والدي يريد محادثتك.
- والد كريم: كيف حالك يا ابنتي؟ أتمنى أن تكوني بخير، وأود شكرك على كل شيء.
- و داد: تشكرني على ماذا يا عماه؟ أنا لم أفعل شيئا حتى الآن، ما فعلته معي منذ سنوات أكثر بكثير مما فعلته، أتدري حتى الآن الألعاب التي اشتريتها لي ما زلت محتفظة بها، وأتذكر لعبك معي وأتذكر أنك كنت تجبر بخاطري، خاصة أيي يتيمة، أوتعرف لم أشعر بحب شخص أو بعطف سوى منك! إن كان ولا بد أن يكون بيننا شكر، فأنا يشرفني أن أقبل يدك امتنانا لما فعلته معنا.

- والد كريم: أتذكركين تلك الأحداث برغم أني لم أكمل معكم النصف ساعة؟ وحتى الآن أنا لم أعرف اسمك...
 - و داد: أنا أدعى و داد، ولكن لم يكونوا نصف ساعة كانوا أكثر من ثلاث ساعات، وبالطبع كانوا أروع ثلاث ساعات في حياتي.
 - والد كريم: أنا أدعى العم محمود يا و داد، وسأكون سعيدا للغاية إذا جئت أنت و والدتك للغداء.
 - و داد: وهو كذلك سأخبرها وأخبرك بالرد بعد ساعة من الآن.
 - محمود: حفظك الله يا ابنتي، وسأنتظر ردك.
- انتهت مكالمتي مع عم محمود، وأخبرت والدتي بكل شيء و وافقت على اقتراح الغداء.
- في اليوم التالي، في الساعة الثالثة عصرا وجدت هاتفني يصدح في غرفتي، وكان الاتصال من كريم ابن العم محمود، قمت بالرد عليه و طلب مني أن أعطيه عنوان منزلنا، وبعد نصف ساعة كان ينتظرنا أسفل المنزل.
- كريم كان مثالا للشباب الوسيم، فكأنه أتى من هوليود ليقتحم خلوة قلبي و يزلزل كياني، تلك النظرة الأولى التي تحتل قلوبنا لتجعلنا شبه مسحورين، ظل يتحدث معنا و يحكي لنا عن والده و والدته، وعن نفسه بالطبع، أخذنا أكثر من ساعة حتى وصلنا إلى منزلهم، رغم انزعاجي من المواصلات عادة إلا أنني لم أرد انتهاء الطريق،

كنت أود وبشدة أن يطول الطريق إلى ما لا نهاية، كنت في حلم جميل، أو لنقل رواية وبطلها هو "كريم" رغم أنني كنت صامته طيلة الوقت أتطلع إلى عينيه فقط.

عندما وصلنا إلى المنزل، وجدنا العم محمود وزوجته ينتظران أمام المنزل، وبمجرد اقترابي من زوجة عم محمود والدة كريم ضمتني إليها، وظلت تقبلني وأنا خجلة للغاية، سعدنا إلى شقتهم وكانت أشبه بالتحفة الفنية القيمة، وكأني في متحف أثري، نظرت للشقة بانهار وكان كريم متابعا لكل نظرة لي، ووجدته فجأة يقول:
هل أعجبتك الشقة؟

- و داد: إنها رائعة أشعر وكأني في متحف.

- كريم: هذا ذوقي، منذ عدة سنوات وأنا أجمع هذه التحف الفنية والأثرية.

- و داد: ذوقك رائع للغاية.

تدخل عم محمود قائلا بابتسامة: لقد تركنا لكريم اختيار كل شيء في هذه الشقة، فهي شقة الزوجية كما يقال، هل أعجبتك الشقة أم تريدين أي تعديل.

نظرت للأرض وأنا يكاد يغشى علي من شدة الخجل، لأنني علمت من نظراتهم أن عم محمود يريد أن يقول لي ابني معجب بك، لم يقل ولكن نظراته واضحة للأعمى.

جلسنا جميعا على طاولة الطعام وبدأت والدة كريم بتوزيع الطعام علينا، كنت سعيدة إلى أقصى درجة خاصة عند النظر لكريم ورؤية ابتسامته، بعد انتهائنا من الطعام، نهضت والدتي لتساعد والدة كريم في تنظيف السفرة.

أما عن عم محمود فقد تركنا وذهب ليغسل يديه وتركوني أنا وكريم بمفردنا، ليبتدرني بالحديث قائلاً: هل تعرفين أي قابلتك من قبل؟

- و داد: وأنا أيضاً، ولكنني حينها كنت صغيرة بالعمر.
- ابتسم قائلاً: ولكنني أقصد أي قابلتك وأنت كبيرة، وليس وأنت طفلة، ولكن لا أتذكر أين أو متى، ولم أقدر على التذكر، ولكنك كنت مثل البدر عند اكتماله.

نظرت للأرض ووجهي أصبح مثل حبة الطماطم الناضجة من الخجل.

-كريم: أنا آسف لم أقصد أن أزعجك، ولكن بالفعل أنا حلمت بك أكثر من مرة قبل أن أراك.

في هذه الأثناء دخلت والدتي والدة كريم وجلسوا يتحدثون عن أيام مضت، وعن أحوال البلاد وحديث كبار السن المعتاد.

اقترب عم محمود وجلس كريم بجانبه وهو يغمز له بأن يقول شيئاً.

وإذ بعم محمود يتحدث قائلاً: أنا سعيد للغاية لهذه الصدفة التي جمعتنا مرتين، مرة منذ سنوات ومرة في هذا الوقت، وأشعر أننا اجتمعنا بحكمة من الله عز وجل.

- والدتي: أدام الله الخير بيننا يا أستاذ محمود، أنت السبب في وجودي بينكم، لولاك لكنت من الأموات منذ سنوات،

- محمود: لا تقولي هذا يا سيدتي، أنا فقط سبب من الأسباب، ولماذا لا نقول أنه لولا ابنتك لكنت فقدت زوجتي وهي فعلت أكثر مما فعلته بكثير، ولهذا السبب أود أن نكون عائلة واحدة.
 - والدي: كيف؟! ماذا تقصد؟
 - كريم: بعد إذنك يا أبي، أريد أن أقول شيئاً.
 - محمود: حسناً أيها المتسرع، تحدث وأبهر حبيبته.
- جميعنا ضحكنا على حديث عم محمود، وأنا أيضاً ضحكنا رغم خجلي الظاهر على وجهي.
- كريم: يسعدني ويشرفني للغاية أن أطلب يد ابنتك وداد، من الممكن أن أكون لا أعلم عنها أشياء كثيرة فقد قابلتها اليوم فقط، ولم أتحدث معها سوى بكلمات قليلة، ولكن أشعر كأنها حلم أود تحقيقه، أظن لقاءي بوداد لم يكن صدفة، سواء في الماضي أو الآن كل هذا ترتيب من القدير، لقد كتب لي أن أراها مرتين وأقع في حبها، لأجعلها أميرة في مملكتي.
 - نظرت لي والدي أمامهم وقالت لي: ما رأيك في هذا الحديث؟
 - نظرت في الأرض وأنا أبتسم، وليس لدي القدرة على الحديث.
 - وهنا تحدث عن محمود قائلاً: الصمت أعلى علامات الرضا، فلنقرأ الفاتحة.

- رفعت يدي الاثنين سريعا أمام وجهي قائلة: آمين.
ضحكوا جميعهم وفهموا أنني موافقة، ومن هنا بدأت أجمل قصة حب مع كريم...
كريم بالنسبة إلي كان هدية من السماء، تصميم إلهي لم يكن موجودا، أو حتى
سيكرر ثانية إنه من إبداع القدير، مرت أيام الخطوبة معه بسعادة ليس لدي
الوصف الكافي لها وكانت أجمل سنة، نتحدث كثيرا ولا نترك بعضنا البعض إلا عند
النوم.

وفي يوم هاتفتني كريم وهو سعيد للغاية ومتلهف لسماع صوتي.

- كريم: أهلا أهلا أهلا بأعز الحبايب أهلا .
- ضحكت بخفة قائلة: من يرى تفكيرك وعقليتك وذوقك الراقى، لا
يقول أنك أحيانا تشبه الأطفال في أفعالك.
- كريم: ومن قال لك أنني لست طفلا! الرجل الحقيقي بداخله طفل يلهو
دائما، الرجل خليط بين النخوة والجدية والطفولة.
- وداد: ومن أنت من بين كل هؤلاء؟
- كريم: سأقول لك، تظهر نخوتي ورجولتي وقت غيرتي عليك عندما ينظر
إليك أي شخص نظرة واحدة، أما طفولتي فقط تظهر وأنا أحتضن
منكبيك بيدي.

- و داد: ولكنني لست بحضنك، وضحكت ومزحت معي كالطفل الصغير.
- كريم: من قال لك أن الحضن ملموس فقط، الكلمة حضن همساتك حضن، تنهداتك حضن، وقتما أقول لك أحبك حضن، ولكن الحضن الملموس فسيحدث قريباً جداً.
- و داد: أراك تحلم يا عزيزي، فما تقوله لن يحدث أبداً ما دمنا لم نتزوج بعد.
- كريم: أنا أهاتفك الآن لأنني أحضر لك مفاجأة.
- و داد: وما هي المفاجأة؟!
- كريم: أنظري من شرفة غرفتك الآن.
- نظرت من شرفة غرفتي وجدت الشارع بأكمله مليء بالزهور والبيوت مزينة، سواء بصور لي أو له، رفعت نظري فإذا بكريم في الشرفة التي أمامي واقفاً على سلم خشبي، ويطلب مني ارتداء أجمل فستان لدي تحضيراً للمفاجأة، ظللت أضحك بهيسترية، فأنا أعرف أن كريم شقي ومرح وأيضاً مجنون، ولكن ليس لهذه الدرجة.
- أعطاني مجموعة من الأزهار قائلًا لي، للمرة الثانية: هيا ارتدي في خمس دقائق أجمل فستان لديك، المأذون بالطريق.
- و داد: هل أنت مجنون يا كريم، لماذا السرعة؟! أولاً والدتي لا تعرف شيء وثانياً أنا...

- قاطعني كريم قائلا: والدتك تعرف، لا تندهشي هكذا، فهي قد نزلت من ساعات حتى تتقابل مع والدتي.
- وبالنسبة للفيستان افئحي الباب سئجدين عروسة ماريونيت صغيرة تشبهك كثيرا، صممتها خصيصا لك،، لأنك بنظري أجمل طفلة.
- ذهبت لأرى ما قاله لي وبالفعل وجدتها ترتدي فستانا ورديا ومزينة بالزهور، لقد كانت حقا تشبهني وكأنها نسخة ثانية مني، صممتها إلى صدري وأنا أبكي من الفرحه، وجدت هاتفني يصدح وكان بالطبع كريم لا غيره.
- كريم: صممت هذه العروسة أول يوم رأيتك به، كنت دائما أضمرها إلى والآن أنت تضمينها، هل رأيت من قبل ملاكا يضم ملاك؟
- وءاد: لا لم أر، ولكن بعد كتب الكتاب، سأرى إنسانة تضم ملاكا، أحبك كثيرا يا كريم أحبك، حقا أعشقتك وأعشق حبك لي.
- كريم: وأنا أعشقتك، أعشق همسك، أعشق حديثك، أعشق هدوئك، أعشق سكونك، أعشق خجلك، أنت أحن وأرق وأطيب ملاك رأيتة في حياتي.
- تم كتب الكتاب وكانت حفلة بسيطة للغاية، وكان قرارنا هو عدم إقامة حفل زفاف، يكفي سعءاتي مع كريم هو ابني ووالدي وكل شيء.

كريم بالنسبة لي لم يكن مجرد زوج كان الروح قبل الجسد، اتفقنا على أن نعيش مع والدته ووالده، وأيضا قرار آخر وهو بتكلفة الزفاف، سنذهب لفندق ونقضي شهر العسل، وكان الاستقبال بالفندق خياليا أو أسطوريا كما يُقال، شعرت أنني ملكة على عرش قلبه.

وأخيرا أصبحنا وحدنا، كنت خجلة ومتوترة للغاية ولكنني متشوقة أن يضمني له، جلسنا سويا نأكل وأجلسني على فخذيته وبدأ يطعمني بيده.

- كريم: هل تعلمين؟! منذ زمن وأنا أتمنى هذه اللحظة؟

احمرت وجتتي ونظرت تحت قدمي من الخجل.

- فأكمل: أنت خجلة الآن، ولكن أكاد أجزم أنك بعد يومين فقط من

زواجنا سيتذمر الجيران من صوتك، ربما أصبحوا من النوم لأجلك قد

أكلت ذراعي.

ضحكت على إثر كلماته ولم أتكلم.

- كريم: أتعرفين منذ وقت طويل وأنا أحلم أن نرقص سويا رقصة هادئة.

- وداد: وأنا أيضا أحلم بذات الحلم.

أمسك كريم بيدي فأغمضت عيني واستسلمت، حملني بين يديه وشعرت وكأنني

أطير متناسية خجلي، وكأن السماء وضعت لي جناحين، أنزلني ثم بدأنا الرقص على

أغنية (وأنا بين إيديك) قربني إلى صدره، ثم احتضني بقوة وأنا لا زلت مغمضة العينين أحلم فقط.

كانت تلك أجهل ليلة قضيتها في عمري، فقد كان كريم العوض من القدير، مر ما يسمى بشهر العسل ولكن معنا لم يكن شهرا، بل كان شهرين قضيناهم في جنان عدن فوق السحاب، انتهت إجازته واضطر أن يتركني حتى يهتم بعمله، كنت أشتاق له كثيرا وأتصل به في اليوم آلاف المرات.

حتى حدث ما كنا نتمناه فقد رزقني الله بأجنته في رحمي، نعم أجنته، لم يكن جنينا واحدا لقد رزقني الله بثلاثة أطفال؛ كريم، عمار، ومحمود، قررت ترك عملي لأنفري لهم وهذا ما حدث، كانت الأيام تمر برتابة وفرح، ولكن الفرحة أبت أن تكتمل، ذات يوم شعر الأولاد بالمرض، فأخذنا سيارته لأقرب طبيب، كان يقودها بسرعة جنونية والساعة تقترب من نصف الليل، وفجأة رأينا شجرة ملقاة بحرفية في منتصف الطريق تمنع حركة السيارة.

- نظر إلي كريم ثم قال: ما هذا؟ إنه كمين.
 - وداد: تقصد أن هناك خطر علينا؟
 - كريم: لا تقلقي، لن يجروا أحد أبدا أن يمسنك بسوء ما دمت حيا.
- رجع كريم بسيارته للخلف، فوجد أشخاص كثر في أيديهم أسلحة نارية يصوبون أسلحتهم تجاهنا،

- كريم: اخفضي الأولاد في دواسة السيارة.

صرخت هيبستيريا من شدة الخوف، صرخ بي كريم بدون وعي منه: هيا أسرع، لا وقت للبكاء.

استطاع كريم أن يعود للخلف بسرعة جنونية وأفلتنا منهم، ولكن فتحوا النار علينا من كل حذب وصوب، وبعد وقت ليس بالقليل ابتدأت السيارة بالدوران بنا شمالا ويسارا حتى فقدت توازنها وانقلبت بنا.

فتحت أعيني وأنا أتأوه، وجدت أمي والعم محمود وزوجته وقد تغيرت ملامحهم كثيرا، وكأن ألف عام قد مروا وكان معهم طفلين، عمرهما بين الرابعة أو الخامسة، كانت الرؤية ضبابية.

حاولت النطق ولكن لساني كان ثقيلًا إلى حد كبير، فجأة ابتسم الجميع وعلت الزغاريد من فم أمي وأم زوجي.

- سألتهم بنبرة ثقيلة: أين كريم والأولاد.

لم أجد أية إجابة منهم أعدتها ثانية وثالثة، حتى قالت أمي: حمدا لله على سلامتك يا صغيرتي، كريم الآن في ذمة الله وأنت فتاة مؤمنة.

كدت أن أصرخ، ولكن صوتي المهزوز أبقى أن يخرج، فبكيت في صمت وكل ذرة مني متعبة، لقد فطر قلبي حينها غبت عن الوعي لوقت ليس بالقليل من شدة الألم

النفسي، كانت أحلامي تتلخص في شخص واحد وهو كريم، كل لحظة مرت بنا في الحادثة رأيتها تتكرر مرارا، علا صراخي كثيرا ولكن بصوت مكتوم، فتحت عيني ثانية لأجد نفس المشهد يتكرر، وأنا في غرفتي في ذلك المستشفى.

نظرت أُمِّي إلي وهي دامعة العين: لماذا تفعلين هذا بنا؟ لقد مر على تلك الحادثة خمس سنوات، ألا يكفي خمس سنوات من الوجد والقهر، خمس سنوات من فراقنا، اشتقت إلى حديثك يا صغيرتي، اشتقت إليك، اشتقت أن أضمك.

تناسيت كلماتها وكل تركيزي كان على خبر موت حبيبي، هل حقاً مات؟ أَلن أسمع صوته ثانية؟ أَلن أراه؟ أَلن يضمني إلى صدره؟ أَلن.. أَلن..

بكيت كما لم أبكِ من قبل، حينها تذكرت أولادي، سألتها عنهم، أشارت إلى الولدين الجالسين معها: هذان كريم وعمار أولادك، ألا تري كم هما جميلان؟

-وداد: ولكن أين محمود؟

- الأم: لقد كانت حرارته مرتفعة للغاية يوم الحادثة، فلم يستطع الأطباء إسعافه حينها، وتوفي.

- وداد: لله الأمر من قبل ومن بعد، لله الأمر من قبل ومن بعد...

- الأم: لا تحزني يا صغيرتي فتلك إرادة القدير.



- و داد: هل لك أن تتركيني يا أمي، أريد أن أختلي بنفسي.

- الأم: معذرة يا ابنتي أعلم بأن أخباري سيئة، ولكن لا أريد أن تكوني وحيدة.

- و داد: معذرة يا أمي، لبي لي رغبتني رجاء.

- الأم: حسنا يا صغيرتي.

تركتني أمي مع أطفالي، نظرت لهم وأنا حزينة، لقد ضاع كل شيء زوجي كان كل ما لدي، لقد كبرا دون أن أضمهما إلى صدري، حرمت من كل شيء يجعلني أشعر أني أم لهما، استشعرت منها نفور أو ربما خوف مني فهما لا يعرفاني، وتلك كانت البداية.

ومرت الأيام والنفور يزداد، كلما حاولت الاقتراب خطوة كانا يبتعدان خطوتين، الفجوة بيننا تزيد مهما حاولت، عدت إلى عملي وانغمست به، حتى لا تحدثني أمي ثانية في فكرة الزواج مرة أخرى، فأنا لا زلت أعشق كريم ولن أصير زوجة لغيره مهما حدث.

ومرت السنوات حتى أكملت الخامسة والأربعين من عمري، وانقطعت الدورة الشهرية مما يدل على أنني وصلت لسن اليأس، شعرت بالغثيان وبألم شديد أسفل معدتي وتلك كانت أعراض توقفها، وذات مرة شعرت بألم شديد وأنا أزاول



مهنتي، فوقعت في إغواء، لا أدري كم من الوقت مر، ولكنني استفتت لأجدني ملقاة على سرير أبيض وطبيب يقف أمامي مبتسماً.

- الطبيب: حمدا لله على سلامتكم.
- و داد: سلمك الله ماذا حدث؟
- الطبيب: إغواء بسيطة ولكنك بخير، ولكن هل لي أن أسألك عن شيء خاص؟
- و داد: تفضل.
- الطبيب: هل أنت أرملة؟
- و داد: نعم أنا كذلك، ولكن لماذا السؤال؟
- الدكتور: هناك شيء لم أستطع تفسيره، هل لك علاقات جنسية؟
- و داد: ماذا تقول أيها الطبيب، أنا طيبة وكبيرة بالعمر كيف تجرؤ أن تسألني سؤال مثل هذا!
- الدكتور: أنا آسف جدا، ولكن نتائج الفحص أثبتت أنك تحملين بداخلك جنينا، أعدنا الفحص مرة فالثانية وعندها تأكدنا من النتائج، حينها شعرت وكأنني على شفا حفرة من الجنون ولم أجد تفسيراً للحمل.
- فقطع الطبيب حبل أفكاره حين قال: نحن ليس لدينا أية شك في أخلاقك، ولكن هناك سؤال ليس له إجابة سوى عندك، هل شربت

مؤخرا مشروبا عند أحد الأصدقاء ففقدت الوعي، لربما تعرضت

للاغتصاب ولم تدرِ لأنك كنتِ في سبات!

ظلت أفكر ولكنني في الطبيعي لا أبيت خارج بيتي، ربما ذلك الكوب الذي

يعطيني إياه ابني قبل خلودي للنوم ولا أفيق إلا في صباح اليوم الثاني؟! أيعقل أن

يفعل بي ابني هذه الفعلة!

شرحت للطبيب ما يجول في خاطري، فنصحني أن أتعامل معها بشكل طبيعي،

وأن أتصنع شربي للعصير المقدم منها، واصطنع النوم لكي أرى ماذا يفعلان بي.

وكان ما حدث هو الطامة الكبرى، في المساء قدما لي العصير كالعادة، فدلقت إلى

غرفتي وأنا ممسكة بها، وسكبتها من شرفة غرفتي، وبعد نصف الساعة وجدتهم

يدلفون إلى غرفتي بخطوات بطيئة، يتحسسون طريقهم لكي لا يوقظوني.

همس الصغير باسمي فلم أجه، فظن أنني غطت في سباتي، وجدتها يتقاتلان فيما

بينهما عمن سيلمس جسدي أولا.

أيعقل أن يكون أبنائي بتلك الحقارة، لو كنت ربيت كلبا لصار وفياء، إن الخنازير

أشد طهارة من بنوا آدم.

انتظرت حتى أصبحا عرايا كما ولدتهم أول مرة، ثم ضغطت على زر الإضاءة حتى

يعلموا بأني متيقظة، ظلا ينظران إلي والصدمة تعتلني قسما وجهيهما لا يجركان



ساكننا، حينها وقفت وأسرعت إلى باب غرفتي وأغلقتها بإحكام، وهما فقط ينظران إلي بإحراج، سكبت على أرضية الغرفة الكثير من المواد القابلة للاشتعال حتى نحترق جميعنا أنا وهما وما أحمله في أحشائي.

ظلا يجريان يمنا ويسرة أمامي وأنا أحترق معها، ولكنني كنت أشعر بلذة الانتقام، استيقظت لأجدني هنا مع أشباه بشر يتساءلون عن سبب جنوني، لست مجنونة كما تظنون، ولكن في العالم الحقيقي من هم أجن مني، لا زلت لا أعلم كيف وصلت إلى هنا، فهل لا زلت على قيد الحياة؟



(الفصل الثالث) قبل النهاية

عم الصمت أرجاء الغرفة، حتى تكلم من خلف الستار رجل لم يكن بالجلسة، كان صوته صغيرا رغم عمق نبراته، كانت كلماته هادئة، بدأ كلماته مستأذنا الطبيب أن يتيح له الفرصة للتكلم، ضحك الطبيب ثم تكلم قائلاً: منذ رأيت عدد المرضى يتكاثر من شاب وفتاة وأنا أنتظر أن تتكلم، فلما صمت حتى تكلم آخرهم، رغم علمك بأني أعلم ما سيقصونه على مسامعنا؟

انفتح الستار وكانت المفاجأة صاعقة بالنسبة لي، فقد كان أخي هو من يتكلم، نظر لي بابتسامة ودية ثم أعاد بصره إلى الطبيب.

- ضياء: الآن حصحص الحق، أنا أنتظر مند وقت بعيد فقد هيات نفسي لذلك اليوم، أنت ترى أن كل من بالمكان ضحاياك، ولكنهم لم يكونوا كذلك يوما، إنهم ليسوا بشريين حتى، فالأموات لا ترد فيهم الروح ثانية، والقرائن يسهل إحضارها، وبالأخص أنهم شياطين الإنس الذين ساعدوك في دس السم في عقول من ماتوا، هم يشبهون النفس الأمانة بالسوء التي أخرجت إبليس من رحمة الله قبل خلق أينا آدم، أما عن الضحايا الحقيقيين حين وقعوا في طريقك غذيت فيهم فكرة واحدة، لماذا لاقوا الظلم في حياتهم، لماذا خلقهم الله، هل خلقهم هوا ولعبا!

وأكثر سؤال غذيته فيهم؛ إذا كان الله يعلم مصيرهم منذ البداية إما بالجنة أو بالنار فلماذا خلقهم من البداية؟!

قبلما يرحل القرائن، سأخبرهم بتأويل ما لم يستطيعوا أن يفهموه لنصفهم الآخر من البشر؛ أما عن جاسر فقد ولد يتيماً وهذا كان اختباراً من الله، تربي في الملجأ بين المئات من الأيتام الذين يتشابهون معه في نفس ظروفه، لقد كان بداخله نبتة طيبة حين أنقذ صديقه وهرب، فدخلت له كالناصح الأمين وسممت أفكاره بالانتقام من أشخاص لا يعرفهم ولا يعرفونه حتى شوهدت آدميته، لو كان صبر لكان خير له وأبقى.

أما عن ياسمين فجعلتها كالدمية في يدك هي وعائلتها، لقد زين الشيطان لأمها الزنا، وأدخل الشك في قلب زوجها حتى رجع من سهره في وقت مبكر ليجدها في حضن رجل آخر، وحين قرر الأب أن يتركها لشأنها لم يعجبك هذا، قاده حظه العاثر إليك لتعبث بتلك العائلة وتفكك إيمانهم.

اختيارك من البداية كان ممتازاً أيها الطبيب فكرتك جديدة نوعاً ما أن تعقد حلقة للمرضى وكل يحكي ما أذاه على أمل أن تأتي لهم ببعض حقوقهم، ولكنك لم تقل لهم أنك تريد أن تزين بهم متحفك الأثري.

منذ سنوات كنت أعرف أن دوري سيحين لحمايته، لقد ظننت أنني سأحمي أخي من عدة شياطين ستحاول قتله، ولكنني تفاجأت حين ظهرت أنت بالصورة، فلا أعلم إذا كنت بشريا أم شيطانا من الشياطين؟!

كنت أقرأ أفكارك منذ ولجت تلك الغرفة، هل كان سبب تأخيرك اليوم هو أخذ الاحتياطات اللازمة؟

سأفرك أكثر حين تعلم أنه لا ناجي اليوم سوى اثنين ليس إلا، أما الباقي فلن يكتب لهم النجاة.

ابتسم الطبيب ثم طلب منه أن يكمل حديثه ربا ثقة في نفسه، فأكمل قائلا: الجميع لا يعرف من أنا، حتى أقرب الأقربين لم يكن يدري أنني هنا، أنا من جمعت بداخلي أسس الخير وحاولت تطبيقها على تلك الأمة، ولكن لا خير دائم فالشر لم يعد مستترا كما كان، بل أصبح سائدا والجميع يبارسونه علنا.

كأصحاب لوط حين قاموا بأفعالهم علنا في نادي المدينة، أو كشرب القرشيين الخمر بجوار الكعبة، حتى يئست بل ظنت روحي يوما أن الدنيا بلا حاكم، فقررت أن أصير حاكما لها.

الحكاية بدأت حين كنت في الخامسة عشرة من عمري، كنت مختلفا عن باقي البشر، أسمع كل من حولي وخططهم لإيذاء بعضهم دون أن يشعروا، أسمع أفكارهم

وكأنهم يحدثونني، كنت أسمع أبي ينقم على حياته، والكره والشر ينموا بداخله يوماً بعد يوم تجاه أمي، المرأة التي ضحت بمستقبل كان ينتظرها لأجله، كعادة أي رجل ظل متلهفاً لنيل رشقات من حبها، وما أن ينتهي من تذوقها يكرهها، ويحاول تذوق الأخريات لنيل متعة من نوع جديد، حرام كانت أو حلالاً فلا فرق، فما أكثر أشباه الرجال حين يتظاهرون بالخير وما هم سوى شياطين.

ظللت أنقم على شره وأكره ضعفها، كانت تذكرني برواية لا تخبرني بما؛ الأم الضعيفة التي مهما فعل بها زوجها لا تغضب ولا تتكلم، جل ما تفعله أن تظل راحة تحت قدمي زوجها، كمنلة سليمان خائفة أن يحطمها دون أن يشعر، دون أن تحاول الدفاع عن حقها في الحياة من غير هرب.

وقتها كان أخي الأصغر هو محور اهتمامها، رغم أنه كان أغرب مني، فملمسه كان ناعماً أكثر مما ينبغي، أعرف أنه يسمعني الآن وليمهني فرصة حتى أكمل كلماتي.

فلنرجع لحكايتي كان محور اهتمامهم حتى ظننت أنني سأصبح نسياً منسياً، ازدادت كراهيتي لهم، حتى أخي لم أحبه يوماً، لما أحبه وهو السبب الأول في نسياني؟

كنت أسرق لحظات من بين أحضان أمي وهي نائمة لعلني أشعر بدفئتها، ولكن كان يبدو أن الفتى حين يتعدى العشر سنوات لا يهنأ بحب أبداً.

حاولت يوما قتل أخي، كان قد أتم السابعة من عمره، وجدت شيئا غريبا أتذكره حتى الآن دائرة من الظلام تحيط به، شيئا ما يخيره بين حياته وحياة أمه، لم يبك أخي أبدا في تلك اللحظة، رأيتَه ينظر إلي بكراهية، ثم همس قائلاً: أختار حياتي.

شعرت كني مسلوب الإرادة، وجدنتني معه داخل تلك الدائرة، تبينت من فحيحها أنها أفاعٍ ولكن ليست من عالمنا، التفت أفعى حول جسدي وفحت قائلة: نستطيع قتلك ولكنك ستكون مفيدا يوما ما، يوما ما ستكون نجاته على يدك، يوما ما سترها وتسمع أفكارها، ستحاول تقطيعه إلى أشلاء، ستعمل على محو ذكراه من الأرض، يوما ما ستقرر أن تضحي بنفسك لأجل أخيك.

سيعرف الكثيرون وقتها من أنت، سيخلد اسمك لآلاف السنين، سيعرفك الآلاف والآلاف من البشر، حين تفعل الجيد تصبح سيرتك جيدة، وحين تفعل السيء تسقط سيرتك في المستنقع، حينها ستنقذ سيد الأرض؛ ابن ناچيني.

لم أفهم كلماتها، همست بصوت متحشرج ومن يكون ابن ناچيني؟ هل يكون أخي! تركتني فجأة واختفت من أمامي دون أن تحيب، نظرت إلى أخي، حاولت قراءة أفكاره ولكنه كان مشغولا بجمع ألعابه ويبدو أنه نسي ما حدث.

كنت أظن أنني خارق للطبيعة بقراءتي لأفكار الغير، ولكنني تأكدت أن أخي شيء آخر، ربما نصف جان أو نصف ملاك، فكما أعرف أن الجن يتزوج معنا، فبالتأكيد الملائكة أيضا قد فعلتها.

لا أوّمن بالأساطير الوثنية، حيث إيزيس إلهة الجمال تزوجت بشريا لتنجب بشريا نصف إله، ولكن الإغريق آمنوا بتلك الأساطير، وآمنوا بالقناطير نصف الفرس ونصف البشر، فلما لا أوّمن بأن الملائكة تزوجت منا؟

كنت أراقب أخي دقيقة بدقيقة، لأنني أعلم بأني سأفديه يوما ما بحياتي ولكن كيف، لا أعلم، بحثت كثيرا عن أي شخص يعرف أي شيء عن ناجيني، فلم أجد سندا واحدا في الإسلام يتكلم عن أفعى تتحدث، ولكنني وجدت في الأساطير الإسرائيلية؛ ناجيني زوجة الشيطان، حارسة الجحيم، أول صديقة لحواء، أفعى مجنحة، حجمها الحقيقي بين السماء والأرض، كان لها 600 جناح، حتى أنها أدخلت عزازيل في جوفها لتغوي حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، لتسقط عنها خواصها، ولتهبط الأرض معهم خاسرة كل شيء، هي أم الشياطين وزوجة إبليس، ولكن هل أخي شيطان؟ حقيقة لا أعرف!

يوم وفاة أمي سمعت صرخاتها، أغمضت عيني فقد عرفت أن نهايتها قد أتت، سمعت ما دار بينها وبينه لم يكن هو القاتل الفعلي ولكنه كان مشتركا معهم، دخل أبي وتواريت وراء الستار كما أنا الآن فوجدته ممددا بجانب أمي وأبي يسكب فوق رأسه الماء حتى استفاق، ومن وقتها فقد نطقه ولكنه أصبح يفح مثلهم.

ظلمت أراقبه كما اعتدت، كنت أتطلع لليوم الذي سأحميه فيه فأنا السبب الرئيسي في موت أمي، لولا محاولتي قتله لما اضطروا للمساومة عليها، وفي قديم الأزمنة كانت

المقايسة بالبضائع، أما هنا فلا داعي للتبديل بين شيء رخيص لشيء أثمن، فنحن أرض الدم أرض الهلاك، كنت أريد أن أقول أرض الخوف، ولكنني لم أسمع عنها من قبل، وتلك علتي، هل سمعتم من قبل أن شخصا يعلم أن موته اليوم ويأتي؟ بالطبع لا.

كان أخي غامضا أكثر مما يجب لا يكلم أحدا، في البداية ظن البعض أنه متكبر نرجسي، كل من حاول أن يلقيه بحجر ألقيته بعشر، مات الكثيرون غرقا في الترع لأنه أراد ذلك، كنت أنفذ كل أمنياته لأنه أخي.

كنت أفق أمام أحدهم مبتسما، فينظر لي ثم انظر إلى الترعة فيهيئ له أن عروس البحر تناديه من الترعة، فيسبح ظلنا منه أن عروس البحر تسكن ترعة بلدتنا، كلما سبح ابتعدت حتى تغوص داخلها فيتبعها إلى حتفه.

لقبوه بالملعون لأن كل من ماتوا كان معروف أنهم حانقين عليه، مات أيضا الكثير ملدوغين ولكن ليس مني فقد كان محميا أيضا من قوى خارقة، ظللت أراقبه من بعيد حتى أنه لم يكن يراني كثيرا، كان يظن أنني أكرهه، كان يتساءل بداخله لما ابتعد؟ هل يصدق أنني ملعون؟

لم أقرب منه كثيرا لا أعرف لماذا، ربما خجلا من نفسي لمحاولتي قتله له قديما، حتى ذلك اليوم الذي ولأول مرة أرى في عينيه نظرات حب لإحداهن، كاد يفقد صوابه الجميع يكرهه وكان يتكلم عن علاقتها الفاشلة، في يوم ما ستعرف عائلتها، ولن

تكفيها محاولة قتله وحرق بيتنا كيبوت الساحرات، وما يترتب عليه أن أقتلهم حفاظا عليه وعلينا جميعا.

أرسلت أحدا ما إليه محذرا، فلم يكثرث له بل تحداه، حتى قابلتها بنفسى محذرا إياها بأن تبعد وإلا ستلحقها لعنة العار، نفذت خطتى ولكن بطريقتى الخاصة فقد كنت أنا متحكما بعقلها حين حدثته، لقد أهنته بنفسى كى أحميه، لم أكن أعلم أنه سيقتل حينها نسل بأكمله، لقد ضحى بدم أبينا مقابل تلك الأرواح، ظنا منه أنها معادلة عادلة، دم أبانا المقدس لن يساويه دم سبع مليارات من سكان الأرض.

أتعلمون لقد جنت عادة وهو يظن أنه أذاها، ولكنها لم تكن الحقيقة؛ أنا من آذيتها، لقد كان معهم داخل أحدهم بجسده الأثيرى، وقتل حينها أربع وسبعون روحا، ولكننى لحقتها فعقدت اتفاقا معهم بأن أظل أحميه مقابل ألا تموت تلك الفتاة، خوفا من المجهول فقد يفقد أخى عقله حين يعرف ألا ذنب لها فيما حدث، فلامست بيدي جبهتها وظنت أنه هو من فعل.

سامحنى يا أخى، أعلم أنك الآن تعرف كل شىء.

معذرة لكل من بالغرفة فأنتم لا تنتمون لأهل الأرض الآن سنصبح ثلاثة فقط، حين ينتهى الجميع ويعودون لأماكنهم الطبيعية، لا تقتتلوا أيتها الأنفس الخبيثة فالجحيم يتسع لكم.

تبدل لون الستار من الأبيض إلى الأحمر فاخفتى كل من بالغرفة من القرائن، وظللت أنا وغادة والطبيب الذي لا أعلم من هو، ولما فعل كل ذلك.

- نظر مصطفى مذهولا إلى ضياء، وتساءل قائلا: أين ذهبوا لا أفهم؟
- ابتسم ضياء ابتسامة خاوية، ثم قال: أتعرف يا طيبينا، لقد كان لك هنا أتباعا بشكل أو بآخر، ولكن أحببت أن أذكرك بضحاياك الحقيقيين، فكلهم أموات، كلهم قد أطاعوك يوما ما، ومنهم من قتل أقرب الأقربين له.

كنت شيطانا يمشي على الأرض اتبعوا خطواتك قبل أن يزهقوا أرواحهم بأيديهم وأيديك، لقد كنت كالطاغوت يعيث في الأرض فسادا، أنت من جعلت منهم مسوخا.

الذين حضروا ظنوا أن أرواحهم ردت إليهم، القرائن رغم كرههم لبني البشر، إلا أنهم يريدون فرصة أخرى لكي يكفروا عن خطاياهم، حتى يوم القيامة سيترئون من إخوانهم من بنوا البشر.

لم أحضرهم لأعطيهم فرصة أخرى، لأنه انتهى الوقت، ولكنني أحضرتهم فقط لأخبر أخي أنه رغم الشر الذي مارسه، إلا أن هناك مليون شخص أسوأ منه، من بينهم أنت، ألم تكن أنت من تقتل، ألم تبع روحك للشيطان يوما؟

الآن أمامك أنصاف بشر، مفعمين بقوة شيطانية مطعمة بالنار المقدسة فإذا أنت فاعل؟

تحرك ضياء من وراء حجابيه ليجلس بجانبنا، ويصبح رابع الحلقة، من نظراته المحبة لي اكتشفت أن كل ما ظننته لسنوات وسنوات كان هراء، أحقا أحبني كما قال؟

نظر إلي ضياء فتلاقت أعيننا لتندمج أفكارنا، ولأول مرة يحدثني، طلب مني أن أغمض عيني ولكن أحدا لم يسمع غيري، أغمضت عيني باستسلام وحدثته لأول مرة: لا أريد تضحية منك يكفي حمايتك لي لسنوات طويلة، فقدت فيها هويتك لتكون أنا.

- كان رده صادما: قصدت حمايتك فأصابتك اللعنة، أهانوك وعذبوك بسببي، سلبوا آدميتك وجعلوك دمويا مثلي.

صدقني كان خطأ من شاب مراهم حين أردت قتلك، اليوم ستتعجب كثيرا، ولكن توقع الشر دائما وكن مستعدا له، وتذكر أنك أخي الأصغر مهما طلبت منك أن تفعل عليك أن تفعل، اتفقنا؟

- صمت كثيرا فقطع صمتي متسائلا: اتفقنا؟

- قلت بتردد لا قبل لي به: اتفقنا.

استدرنا أنا وهو للطبيب نطلب أن يختم لنا حكايات ضحاياه الذين اختفوا، فلا عجب لنا بعدما رأينا الشر بل مارسناه أن يكون الطبيب مثلنا، نصف بشري

ونصف آخر غير معروف الهوية أو ربما يكون هو الشيطان نفسه! ابتسم الطبيب ابتسامة خاوية ثم نظر في أعيننا ولكننا ظللنا متنبهين له.

- فابتدأ حكايته بمقدمة فلسفية قاتلا: كم أود أن أحكي لكم عن بداية الفاجعة التي وقعت بها رغما عني، ولكنني لا أستطيع الآن، لأنكم لن تفهموا بدون أن أحكي لكم حكايتي، كل يوم يخرج لنا الآلاف والآلاف من المجرمين، البعض يسجن والبعض الآخر يجز في أحد مستشفيات الصحة النفسية، وهذا ضياع من نوع آخر، خصوصا أنه يظل من وجهة نظر الكثيرين منكم مجنونا يخافون منه فيجن بعدها، ثم نراه بعدها يمشي في الشارع رث المظهر، والبعض يرشقونه بالحجارة والبعض الآخر مذهولون لما وصل إليه وكأنهم ليسوا سببا في ضياعه، من المسؤول عن ضياعهم؟ أهم انشقوا عن طبيعة الكون أم أنهم لم يجدوا من ينتشلهم من الضياع؟

لم يجدوا الصالح الأمين الذي يخرجهم من نفقهم المظلم إلى عنان السماء، أنا من المجرمين الذين أطيح بهم في أحد المستشفيات ذات يوم، ليسكن لأيام وأيام ولكنني من سلمت نفسي إليها، لم أطق التعايش مع كافة المخلوقات، كرهت التعايش بدور القط والفأر، الخير والشر، الذئبان المتناطحان يوميا، المعركة التي ينتصر فيها الخير دائما في مسلسلاتكم العقيمة، لتظهر البهجة على الوجوه الكالحة، إنها لعبتي وقد مللت منها، دائما أنا الذي أسبق بخطوات، أنا المنتصر بل أنا المتحكم

في اللعبة من بدايتها، مللتها ومللت وجوهكم الخائفة، حتى حين هربت من الخير والشر؛ وجدت المتطفلين من الأطباء يحاولون تعكير صفو هدنتي، فحدث لهم ما حدث.

كنت عالما يوما ما، أنا الدكتور مصطفى سلامة كما عرفتموني ولكنني أحمل اسما آخر، ميشيل رافع، مواليد مصر لعام 1912 ولكنني أكملت دراستي بألمانيا، أعلم أنكم تتساءلون أي جنون هذا؟ أو ربما تعتقدون أنني أدعي الجنون، فأنا حضرت بالفعل الحرب العالمية الأولى بل حضرت أيضا تصفية اليهود على يد هتلر بمحرقة الهولوكوست، لقد كنت واحدا من اليهود المقيمين في ألمانيا قبل وعد بلفور بإقامة دولة لليهود على أرض فلسطين أو على الأصح في أرض أبانا الأكبر إسرائيل، أبي كان مصري الجنسية وأمي ألمانية المنشأ.

تعلمت في مصر وحلمت مع الحالمين بإقامة دولتنا اليهودية من الفرات للنيل، أصبحت عالما كما حلمت، أحبني الكثير من الألمان، حتى قامت مجازر الهولوكوست، وقام أحد العلماء من زملائي بتهريبي في حاوية من حاويات البضائع إلى مصر.

كنت ممكن ساعدوا الإنجليز في مصر وأخبروهم عن كافة الاختراعات الألمانية، فرغم أن المصريين وقتها كانوا يتمنون دخول الألمان للقضاء على الاحتلال

الإنجليزي، إلا أنني تمنيت أشد التمني القضاء على الهيمنة الألمانية في كافة بقاع الأرض، حتى لا يقتل أبناء ديانتني بما فيهم أنا.

عملت مع المصريين كعالم له مكاتته، وعلموا أن ولائي كله لهم فخافوا كثيرا أن يضيعوني، خصوصا وأنهم كانوا يساعدون الألمان للقضاء على الاحتلال الإنجليزي، اقترح أحد العلماء أن يتم تجميد بعض العلماء اليهود، لمدة قليلة من الزمن حتى تنتهي الحرب، كانت فكرة بلهاء لا يفكر فيها سوى مجنون، رفضت رفضا قاطعا.

- قال أحدهم إن في دينهم حديثا يقول: (عمر أمتي ما بين الستين والسبعين)

فسألته عن صحة هذا الكلام ، فأكد أنه صحيح مئة بالمئة.

- فسألته: اذا كان صحيحا كما تدعي، فلماذا هناك أناس يعيشون أكثر من مئة عام؟

- أخبرني أن الإنسان مثلا كالسيارة عبارة عن جهاز، وذلك الجهاز له عمره الافتراضي، يمرض كثيرا ويشفى، ولكن يأتي وقت معين بعد الستين يصبح الجهاز عرضة أكثر للتلف، وهذا ما يحدث بالفعل.

لم أكن قد تعديت وقتها الخامسة والثلاثون، من هنا أتتني فكرة أخرى بدلا من التجميد، التي أشك أنها حقيقية فأنا لا أثق أبدا بالعلماء المصريين، فالمصريين

يستطيعون فعل الكثير، كجعل العالم فاشل وجعل الفاشل نجما عالميا، بعكس الألمان ويهود أوروبا، فنحن نجعل أرذلنا عالم بل نساعده بأن يصير أفضل العلماء مادام عقله يعمل.

استوقفني كلام العالم المصري عن العمر الافتراضي لجسد الإنسان، إن الجسد يظل قويا حتى الستين وبعدها يشيخ ويبل ماذا لو جددناه منذ البداية؟ ماذا لو تغيرت القلوب والأعين، ماذا لو تبدلت قطع الغيار البشرية لقطع أخرى؟

أعلم أن الروح خالدة كما هو في التلمود، يموت الجسد ويبل وتظل الروح في حيويتها، بل إن الجسد كثيرا ما يقيد الروح، الجسد يشيخ أما الروح تظل كما لو كانت في الثالثة والثلاثين.

كانت تلك فكري التي جمعتها من كتابكم السماوي ومن التلمود كما قلت، توأرت وقتا ليس بالقليل عن الأنظار، بعدما اشترت كتبا عن الطب تتكلم عن التشريح، جمعت أكثر من موسوعة طبية لكي يكتمل علمي به، وبالفعل تعلمت التشريح، وتعلمت أيضا حفظ الأعضاء البشرية، وكانت البداية حين قتلت عمي وهو الأقرب لي.

في ديننا يستطيع الرجل أن يتبنى أي فتى ويصبح أباه الفعلي، كما تبني آزر إبراهيم أبو الأنبياء وجعله ابنا له، ومن وقتها يعرف بإبراهيم ابن آزر، رغم أن أباه الحقيقي لم يكن آزر بل كان عمه أخو أبوه.

كان علي قتل عمي بعدما رفض تزويجي بابنته مدعيا أني أخاها بالتبني، لم أقل له يوما يا أبي لأنه لم يعاملني كابن له، كان يشعرني بالتقزز كنت كثيرا ما أتساءل لما تبناني؟ ولكنني فطنت في النهاية وسأقول لكم؛ لقد كان يريد أن يراه الناس بصورة الرجل الطيب الرحيم، ففاقد الشيء يتمناه بشدة، ورغم حبي لابنته فلم يشفع له عندي أنها ابنته، كنت قد حضرت كل شيء ولكن رغم كل ما تعلمته فلم أكن أعلم أن كل جهاز في الجسم له وقت محدد يفسد فيه حتى لو وضع في الثلاجة.

لقد كان أول من أحضرته إلى شقتي الصغرى في القاهرة، كانت شقة كبيرة، عالية الارتفاع إلى حد يجعلني أتقن في جعلها طابقين؛ طابقا للمعيشة وطابقا يصلح مخزن، أو ربما معمل طبي أو مشرحة، ووفقا لما تدربت عليه من رفات الحيوانات (فئران التجارب) مثلما يقول الألمان، تمت العملية بنجاح أحسد عليه، أصبح جسده خاويا تماما، أمسكت جثته وأحرقتها عن بكرة أبيها وكأني أشوي خروف ثمين، ولكن جال بخاطري فكرة أخرى حين سمعت مواء القطط على باب الشقة، فقطعتة إلى أجزاء وأطعمت الكلاب والقطط، ربما تسمموا من لحم ذلك الحقيير.

هنا كانت البداية، ولكن الأعضاء فسدت في الثلاجة، كان لابد أن يكون معي طاقما أثق به يساعدوني وأساعدهم للسير في طريق الخلود، تواصلت مع أطباء يهود كنت على علاقة وطيدة معهم، في البداية لم يقتنعوا أبدا بفكرتي، ولكنني طلبت منهم أن أكون أول المتبرعين بإجراء التجربة.

اختطفنا طفل صغير وتم التضحية به بعدما تطابقت أنسجتنا، تم تغيير الكليتين والكبد ونجحت العملية، لقد كانت أول عملية من نوعها، أما الجسد فقد احترنا هل نحرقه ونطعمه للحيوانات كما فعلت في السابق أم ندفنه للتخلص منه؟! ولكنني أتيت بفكرة أعظم، ولكنها صعبة التحقيق، قررنا وقتها حرق جثة الفتى حتى أعرف كيفية تحقيق فكري.

بتغيير الكليتين شعرت بحيوية زائدة وكأنني عدت للعشرين من عمري، نسيت أن أخبركم أن الاختطاف لم يكن عشوائيا، فلا بد أن تلائم فصيلة دم المتبرع فصيلة متلقي الأعضاء.

وهكذا ظللنا نختطف رجالا ونساء من شتى أرجاء مصر، حتى انتشرت الأخبار عن فقدان العشرات من المصريين، اضطررنا لإيقاف العمل لأيام بل لشهور، حتى فقدنا الأمل في مواصلة حلمنا بالخلود، حتى واتني فكرة أخرى، من الخالد الوحيد على ظهر الأرض؟ إنه إبليس ذلك الذي يحكم الأرض من فوق سطح البحر على عرشه.

عزازيل كي ينال الخلود اعترض على أمر الله ولم يسجد لآدم، فلم يغفر له أما نحن فنقتل ونسرق ونزني ولا زالت الفرص متاحة لنا، ظل ذلك السؤال يؤرقني؛ كيف نال عزازيل الخلود؟

ظللت سنوات أبحث عن شيء يقربني إلى مسعاي ويحييني عن تساؤلي، حتى جاء ذلك اليوم حين سألت مشعوذا كبيرا عن أقدم كتب السحر، أعطاني كتابا مكتوبا بخط اليد بمقابل مادي كبير للغاية، سألته عن كيفية استخدامه.

- قال : عليك أن تظل نجسا أربعين يوما، استخدامك الماء يقتصر على الأكل والشرب ليس إلا، عليك ذبح الذبائح وتعليقها في غرفتك وتحمل رائحتها، فإن مت خنيقا فلا تستحق أن تراهم، وإن ظلت روحك صامدة فستنجح في اختبارهم الأول.

فعلت مثلما قال، في اليوم الواحد وأربعين تغيرت ألوان الجدران إلى اللون الأحمر، أحسست بالعزلة حتى الهواء اختفى حفيفه، فجأة ازدادت حرارة الغرفة ووجدت نفرا من الجن بجواربي، نظرت له ولكنني وبلا فخر لم أشعر بالخوف، سألتني ماذا تريد؟

- قلت: الخلود، الخلود الذي ناله جدكم الأكبر.
- قال: ألم تعرف كيف نالها؟
- قلت: بلى أعرف، ولكننا البشر لا نخلد، لأن ذنوبنا مهها عظمت كتب لها الغفران.
- قال: إلا الشرك؟
- قلت: وماذا بعد؟

- قال: لقد مسخ القدير أبي عزازيل الأكبر إبليساً لأنه لم يسجد لأبيك آدم، فماذا لو سجدت أنت لي؟ ماذا لو حققت ما لم يحققه كثير من بني جنسك؟ هناك من جنسكم أناس يدعون أنفسهم بعبدة الشيطان، يقدمون القرابين متمنين تقبلها كي ينالهم حظ من قدراتنا، أنا أقدمها لك الآن.
لم أفكر كثيراً، ركعت ساجداً أمامه.

- قال: والآن اتلّ العهد.

- قلت: أي عهد؟

- قال: اليوم أنا عبدك وخادمك الأبدي لن أموت أبداً ما دمت لم أنكث بعهدك، أنا من سأجول في الأرض، عاليها وسافلها لن يوقفني بشر ما دمت تحت قدميك، أنا الكافر بإله السموات السبع والمؤمن بإله النار عزازيل العظيم.

قلت كما أخبرني، فانفتحت الغرفة أمامي وكأنني في مكان آخر، وجدت برديات فرعونية حاولت قراءتها ولكنني لم أفهمها.

- قال: لا تقلق سنقرئك فلا تنسى، ثم مده يده على رأسي فوجدتني عليم بها.

كانت تلك المخطوطات الفرعونية التي لم يجدها البشر، أسرار التحنيط التي لا يعلم بها أحد.

- قلت متسائلا: وهل الخلود فقط بأن تحنطوني كتمثال تحتمس؟
- قال: لا، سنجعل لك متحفا ستصطاد البشر من بقاع الأرض وتسرق أحشائهم مثلما تريد، أما الجسد فلن يفنى سيخلد كتخليد أجساد القدامى منكم، لن يكون الخلود دائما فما دمت تبدل قلبك تصبح روحك أقوى، ستكون مثلك مثل أعوان عزازيل؛ توسوس لهم فيتبعون أمرك، تأمرهم بأن يقتلوا فيقتلوا، تزيد بغضهم لبعض، البشر يستعيدون منا فنفر، أما أنت فلن يفر منك أحد، من الآن ستصبح طبيبا تعالج النفوس، ستعالج نفوسهم الطيبة لشبعها كرها وبغضا، اليوم ستكون أنت عزازيل البشري.

.....

لا أنكر أن حيلتك أعجبتني يا ضياء في تلك اللعبة التي لعبتها علي، فكل من كانوا بالغرفة كانوا ضحايا لي ولكنهم وافقوا، سمعوا الوسوسات فاتبعوها كاتباعكم لوسوسة الشياطين، الشيطان لن يجاسب عنكم وأنا لن أحاسب عنكم.

الأرض مليئة بالشر فلا تتبعوني لأنكم لن تقدرُوا مهما كانت قوتكم على اللحاق بي، فأنا خليفة عزازيل.

قالها الطبيب واختفى عن ناظرنا ظللت أنا وضياء ناظرين بعضنا إلى بعض لوهلة، ولم يتبق معنا سوى عادة، هيئ لها في باطن عقلها أن الطبيب لا زال جالسا ويشير لها

بأن تحكي حكايتها، ظلت تحرك رأسها باضطراب لبعض الوقت، أعلم أن الجنون حليفها فلم تكن حتى متببهة لما يحصل منذ البداية، ظلت تنظر إلينا وكلما وقعت عينها على شخص منهم تبتسم بسخرية حتى نظرت إلي، وزادت حدة نظرتها.

نهضت من مكانها وجلست بجاني ثم همست في أذني قائلة: الليلة ستكون نهايتك، الليلة سأخذ بثأر اثنان وسبعون شخصا من عائلتي، اليوم ستذهب وكأن لم تكن، لن يتذكرك أحد ستظل ملعونا فقط في السماء، لعنتك ستنتهي في الأرض وستبقى قوتي.

نظرت إليها نظرة مطولة متسائلا في نفسي؛ هل أفاقت بعد سنوات من الجنون! هل أصبحت نصف شيطان كما قال أخي؟

ابتعدت عني عائدة إلى مكانها الأول جلست ثم علا صوتها قائلة: الآن أستطيع التكلم بعدما بقيت صامتا لسنوات وسنوات، ألا تعرفون من أنا؟

أنا الزمن، تعرفون أن اسمي غادة، الفتاة التي جنت بعدما قتل أمام ناظرها اثنان وسبعون من ذويها مثلما كتب في تقاريركم، لن أقص عليكم سبب موتهم لأنه لا شأن لكم به، ولكن القصص أصبح وشيكا فسأريكم ما أستطيع عليه من الفعل.

كلنا في هذه الجلسة مذنبون لا أحد منا مجني عليه، حتى أنا الليلة سأكون مذنبه مثلكم، حقا سأقتص وهذا حقي، لكن للقصص شروط وأنا سأخطأها.

ذات يوم أحببت شخصا غريب الأطوار، لم يكن يجبه أحد في بلدتنا ولكنه أعجبني، أحببته وتحديت جميع من حولي، كنت مرافقة في السابعة عشر من عمري، وكان لدي زميل من نفس بلدتنا يدعى عثمان، لقد كان غاضبا كالرعد، اقتربت منه واعتقدت أنه أحبني مثلما أحببته، كان غريبا بكل ما تحمله الكلمة، حتى غريبا على أهله الذين أنجبوه، توفيت أمه بسببه، كثير من أهل البلدة ماتوا، لماذا؟

لم يكن أحد يعرف، ولكن كانوا يكتشفون وجوده في موضع قتل معظمهم، الشكوك دارت حوله رغم صغر سنه، الجرائم لم تكن قتلا كما يوحى لكم، فالقتول حين يقترب منه عثمان إما أن يلقي بنفسه في إحدى الترع، أو يموت مسموما إثر لدغة من أحد الثعابين.

ومن وقتها لقبوه بالملعون ولكنني لم أكثرث، فحين تحب الأنثى تمحي عقلها تماما، حتى وإن أحببت قردا بشريا، لم يكن يتكلم مثلنا كان يسمع وينظر فقط، أما عن صوته فكان كالفحيح حتى لسانه كان مشقوقا من الداخل، جلده كان ناعما كأنه أفعى في زي بشري، أحببته رغم ذلك، ألم يسبق وأحببت فتاة وحشا؟

كنا نراسل بعضنا البعض عبر الإنترنت أرسل له شعرا أو قلبا فيرد بالصمت، صامت الصوت واللغة، تعلقت بغموضه أكثر فالأنثى دائما تحب الصامت حتى يتكلم.

حتى جاء ذلك اليوم الذي هددني فيه أخاه الأكبر إن لم أتركه سيخبر عائلتي بعلاقتي معه، أخبرني بالعار الذي سيلاحق عائلتي حتى بعدما يقتلونني، فأنا في كلتا الحالين سأصبح قتيلة، إما قتيلة العار أو قتيلته.

آثرت عائلتي على نفسي وقررت أن أتركه، حاولت التعامل معه بطريقة اللامبالاة فتعلق بي كما لم يتعلق من قبل، أصبح يراسلني يوميا كما لم يفعل من قبل، البرود كان سلاحه والتودد كان سلاحه.

كنت أبكي رغما عني وأنا أقتل نفسي وإياه، قررت إنهاء كل ذلك حين أخبرته أن من حقني أن أشعر بالحب وأسمعه، لا أن اقرأ كلمات من شخص ملعون لا يجبه أحد، كان رده حاضرا وسريعا، سيفتقدك أهلك كثيرا حاولي أن توديعهم.

مر يوم فالثاني فالذي يليه ولم يحدث شيء، كنت أتظاهر أمامه في المدرسة باللامبالاة، كنت أرى الشرر يتطاير من عينيه، حذرنى الكثيرون من نظراته وأيضا أخبرني الباقون عن خطئي في خوض علاقة معه؛ أين كان عقلك يا غادة ألا ترين أنه كالقنبلة الموقوتة أو الحقل الملعن، يقتل كل من يقترب منه ويظل كما هو مجرد حقل خاوٍ؟

حتى جاء ذلك اليوم، كانت الساعة قد تعدت منتصف الليل بقليل، وجددني مقيدة على شجرة وجميع عائلتي معلقين على أغصان الشجيرات من حولي، رأيت أكثر من عشر أفاعٍ هائلة المنظر موكب ضخم يقترب مني وتتقدمهم أفعى كبيرة الحجم،

أقربت مني وأصدرت فحيحاً، حينما نظرت في عينيها رأيته داخلها، لم أعلم هل بالفعل كان أفعى أم أنه تلبسها، حقاً لا أعلم!

أخرجت الأفعى لسانها ولمست جبهتي، وغبت عن الوعي، هل الغيبة تلك كانت إغماءة أم كان الجنون الذي سبحت في ظلماته؟

أوقن أنني قد جننت حين رأيت أفراد عائلتي معلقين مسلوبي الروح، موتي كان إكراماً لي، لم يختر موتي فضل تعذيبي على موتي، فضل أن أعيش مثله مسلوباً الإرادة ملوثة القدر، أصبحت كما الحيوانات بلا عقل بل إن الحيوانات لهم عقل، أما أنا فقد ظننت أنه ذهب بلا رجعة، هطول الأمطار كان مروعا فاختبأت بين صخرتين هائلتي الحجم، وكأني داخل وكر للمطاردين، رأيت نورا هائلاً يهيم حولي كنت أفغر فاهي كالأطفال، ظللت أحرك رأسي يمينا ويسارا كقطعة داعبها صبي بمنظار من الليزر حتى سمعت صوت أنثوي قوي، سمعت كلماتها ولا زلت أتذكرها فقد كان محورها عن الشيطان: (الشيطان هو ذلك الملاك الذي كان فخوراً بما يكفي ليزعم أنه الرب، شجاعاً بما يكفي أن يشتري استقلاله بثمن تعاسته الأبدية وعذابه المستمر، جميلاً بما يكفي أن يعبد نفسه في الضوء المقدس الكامل، قوياً بما يكفي ليرزح في الظلمة والألم الشديد، ومع ذلك يصنع لنفسه عرشاً من هذا الركام المشتعل غير القابل للانطفاء)

قالت كلماتها فلم أفهم شيئاً، اقتربت مني ولمست رأسي فعاد عقلي وعادت ذاكرتي كما كانت، ظللت أبكي حتى لامستني بيديها كانت باردة كالثلج، خيرتني إما أن تعيدني كما كنت أو نطل أنا وهي كروح واحدة؛ عادة وهيلين.

أظن أنكم لا تعرفونها، إنها العرافة خليعة الشيطان، كانت بشرية يوماً ما ولكنها ولدت مريضة، حتى قرر والدها ذات يوم أن يأخذها إلى الكنيسة في روسيا، فقد كانت الكنيسة تقوم بجلسات لطرد الأرواح الشريرة، وحين جاء دورها ونطق القس باسمها اشتعلت الكنيسة، بالنيران ومن وقتها عرفت هيلين في بلدتها.

لم يكن يتجرأ أحد على الاقتراب منها، كانت ملعونة كما ظنوا ولكنها أيضاً كانت جميلة للغاية، تزوجت رجلاً يكبرها بأكثر من أربعين عاماً وهي ابنة السبعة عشرة ربيعاً، أظن أن ذلك السن هو سن اللعنة، تزوجته ولم يستطع أن يمنعها من السفر أو المبيت خارجاً، كانت لها قوة تفوق القوة ذات نفسها، سافرت وقتها إلى عدة بلدان، كالأمريكيتين تعلمت من الهنود الحمر سحر الفودو وظلت تمارس فنون السحر، أصبحت قوتها تعادل عزازيل نفسه.

خلدت نفسها وباعت روحها للشيطان حتى أصبحت روحها شفافة، استطاعت قراءة الأفكار وتحريك الأشياء عن بعد، وحتى أنها استطاعت شفاء المرضى وإعادة الأموات إلى الحياة.

ظن الناس أن روح المسيح تجسدت بها، بل واعتبروها إله من دم ولحم، ولكن الحقيقة عكس ذلك، فلم يكن الأموات قد ماتوا حقا حين تم إحيائهم، بل كانت لعبة من الشيطان كي يضلوا في الضلال أكثر ويظل وهي سائدين على الأرض، حتى اختفت بين الظلام قالوا أنها صعدت للسماء، وقال آخرون أنها بقيت موجودة وأنهم يشعرون بها، والرأي الثاني هو الصحيح فقد كلمتني وعالجتني، بل وأعطتني قوة لا يمكن تحديها من أي شخص.

والآن حان وقت القصص، كنت أتمنى أن يحكي لكم زميلنا عثمان سبب وجوده معنا، ولكنه لن يخرج سوى فحيحا ولن تفهموه فلن أضيع وقتي بعد الآن، عزيزي عثمان أشكرك كثيرا، لولاك لما كنت بتلك القوة، أيضا هيلين تشكرك وتخبرك بأنه انتهى عهدك فعهدا باقي حتى الزوال.

كانت تلك آخر كلمات عادة بعدما نظرت إلى الغرفة وهمست بكلمات غير مفهومة، رأيت الغرفة تهتز وكأن زلزال مدمرا سيأخذنا إلى الهاوية، انشق السقف بصواعق من البرق وعم الظلام.

رفعت يدي إلى فمي كي أجرحها ولكن ضياء وقف أمامي، قطع يده بمشرط حاد ثم دار عن يميني وعن يساري، من أمامي ومن خلفي ناثرا دمه، كان يتحكم في حتى لا أقاومه حتى وقع مغشيا عليه.

صرخت قائلاً بفحيح غير مفهوم: بالدم الغالي سأدوم وتظهر حقيقتي، الدم الفاني سينتهي ولتظهر قوتي، فلتبق لعنتي على المعتدين، فليبق مصري بين عشيرتي، أن تمدوني أمددكم وإن تنفروا أمقتكم، الآن عرفت حقيقتي، الآن عرفت قدرتي ولعنتي، لطالما كنت سيدا عليكم، سينفرون وينسجدون.

تعال الصرخات بالغرفة تساقط السقف وتهشمت الجدران وعم الظلام، حتى اختفت الغرفة ووجدتني غارقاً في دمي ولكنني في بيتي القديم، في مزرعة القصب.

انتهت



الخاتمة

أغلقت دعاء الكتاب الذي بين يديها، ونظرت إلى عثمان وهي لا تفهم شيئاً، أيعقل أن تكون الحياة بذلك السوء؟

نظر لها عثمان نظرة ذات معنى، ثم قال: الحياة أسوأ مما تتخيلين، ستقوم القيامة على أشر الناس، ستأتي الريح الطيبة وتأخذ معها الأنقياء، حينها سأكون موجوداً وربما سيكون ميشيل معي.

ستظهر كائنات الهوجيمو وسينزل الدجال الأعظم..

ترقرقت أعينها بالدمع وهمت أن تقول شيئاً، فقاطعتها مكملًا حديثه: لقد أرهقتك كثيراً بقراءة الخطابات، عليك أن تأخذي قسطاً من الراحة فالغد سنبدأ اللعبة، ستخلعين رداء البراءة وتلبسين ثوب القوة، في الغد سيسقط عالم البشر.

نظرت له بقلق ثم قالت: لا أفهم شيئاً، أخبرني ماذا سيحدث؟

قال بثقة: ستأتي ريحا حمراء تقتلع القلوب، سيختفي القرآن وحينها ستخرج الشمس من مغربها، ويظهر الدجال..



بداية النهاية

فتح عينيه بتثاقل، شعر بصعوبة في التنفس وكأنه داخل قبر معتم، جاهد في التنفس، شعر وكأنه يتنفس غبارا، كانت يداه موضوعتان فوق بعضها أعلى صدره، أحس بأن هناك عائق يحول بينه وبين قدرته على الحراك، رفع يديه فاصطدمت بقطعة من القماش، تساءل بخوف فيما بينه وبين نفسه: هل أنا داخل مقبرة؟!

جاهد نفسه والخوف يكاد يقتلع قلبه، أزال الكفن عن وجهه ليجد نفسه في قبر معتم يكاد يكون معدوم التهوية، مد يديه لأعلى متحسسا سقف القبر المنخفض، حاول الطرق عليه لعل رامس المقبرة يسمعه فيفتح له.

شيء ما يقيد عقله عن التفكير، لا يعلم من هو وكيف دفن وهو حي!

لا يتذكر أي شيء، حاول إيجاد سبيل للخروج ولكن هيهات! ظل يتحسس السقف ويدق عليه بوهن شديد، تراءت له ظلال تتحرك أمامه، لتزيد من وتيرة الخوف داخله، أفنع نفسه بأن الظلال مجرد وهم، فكيف لظلال بأن تظهر في الظلام الدامس!

أغمض عينيه فالأمر سيان بالنسبة إليه، أحسن بأن يد ساخنة تمسك بيده، صرخ هلعاً، وازدادت صرخاته حينما أتاها صوت كالفحيح يخرج من العدم: لا تخف فأنا أعطيك الأمان.

لم ينطق وتسارعت أنفاسه من شدة الخوف، فأكمل الصوت حديثه: أخبرتك ألا تخف يا كامل، أتشمم فيك رائحة الخوف، تكاد تبكي من فرط خوفك، ولكنك آمن الآن وأنت تحت رحمتي.

قال بصوت مهزوز: أنا لا أعلم شيئاً، كيف مت، وكيف عدت إلى الحياة مرة أخرى، بالكاد أتذكر اسمي.

- سأخبرك ما حدث ولكن بعد أن أعرفك على نفسي، أنا أونجمار، حارس هذه المقبرة لطالما، أعدت أناسا إلى الحياة من جديد، أعطيتهم فرصة ثانية لكي يكفروا عن خطاياهم.

- هل تعرف كيف مت؟

- لقد مر ثلاث ليالٍ على دفنهم إياك، حين أدخلوك كنت ما تزال على قيد الحياة، لقد سمعت نبضات قلبك، ظلت تتخافت رويدا رويدا حتى تلاشت تماماً.

- لماذا يدفني أحدهم حياً؟ كيف يجروون على ذلك؟! أنا لا أتذكر حتى أين كنت حينها، لا أتذكر أي شيء.

- الفضول دائماً ما كان عدو الجنس البشري، تسعون دائماً لمعرفة أمور لا تعنيكم في شيء، كتلك الكاميرا التي بجوارك.

تحسس بيديه الأرض بجانبه، حتى أمسك بيده تلك الكاميرا التي أدخلها أحدهم معه، نظر إلى الظل المحيط به وسأله: معنى هذا أنني دخلت إلى هنا بمحض إرادتي؟ تعالت ضحكات الظل وقد كان كالأفعى يلفظ فحيحا، ثم فح فيه قائلا: كل ما تريد أن تعرفه سأخبرك إياه، ولكن بطريقة أخرى، تتم الظل بعدة كلمات غير مفهومة، فاحتل الضوء المكان وكأنه ضوء من نار أتى من العدم .

لم يستطع الرجل أن يفتح عينيه خوفا من رؤيته، أحس بيده تلمسه من جديد، فتح عينيه في رعب ليجد أمامه أشع وجه ممكن أن يكون قد رآه من قبل؛ كائن هلامي يشبه الغوريلا وله قرنين عظيمين، عينيه مشقوقتين طوليا يتخللها السواد، أغمض عينيه سريعا من شدة الخوف .

فأعاد كلماته على مسامعه قائلا: سأعقد معك اتفاقا، وأظنه سيروق لك .

أجابه بخوف: وما هو الاتفاق؟

قال بتعالٍ: سأرجعك إلى ما قبل موتك بأيام، لأريك كم كنت غيبا، ستعرف كيف أغراك طمعك للسقوط في الهاوية، ولكن كما قلت لك سيكون هناك اتفاق، كل من كانوا السبب في دخولك إلى هنا ستأتي بهم أحياء كما واروا جسدك في التراب حيا .

-حسنا وأوافق، ولكنني لا أتذكر كيف جئت هنا، فبالكاد أتذكر اسمي .

- ما إن ترى النور ويتخلل الهواء رثتيك ستعود ذاكرتك، ولك هبة مني سأجعلك
تسمع أفكارهم، ولكن لا يغرنك طمعك من جديد، ولا أريد رؤيتك مرة أخرى،
ولا تنسى بعد أن تعرف الحقيقة عليك ترديد هذا القسم "أقسمت عليكم يا روح
الأولين والآخرين، أقسمت عليكم باسم الإله الأسفل آيلاقوش، بأن تعطوني
الحجة والميثاق في الانتقام، يا من نرجو رضاكم نقرئكم السلام، سنقدم القرابين
عدد ما تريدون بعدما تنفذون، الوحا الوحا، العجل العجل، الساعة الساعة"

إلى اللقاء في الجزء الثاني





جدول المحتويات

1.....	المقدمة
2.....	إهداء
4.....	شكر و عرفان
5.....	(الطاغوت 1)
5.....	المقدمة:
7.....	(الفصل الأول)
16.....	(الخطاب الأول)
27.....	(الخطاب الثاني)
48.....	(الفصل الثاني)
51.....	(في مصحة الأمل للصحة النفسية بالغربية)
54.....	(حكاية جاسر)
66.....	(حكاية سعيد)
72.....	(حكاية بلال)
80.....	(الكفيف)
84.....	(حكاية ياسمين)
94.....	(الموت الأسود)
100.....	(اغتصاب أم)
118.....	(الفصل الثالث)
118.....	قبل النهاية
144.....	الخاتمة
145.....	بداية النهاية

